

الباب الثالث: الأدوات الامبريالية المادية لهدم الأمة

الفصل الأول: خطط إضعاف العالم الإسلامي وتقسيمه:

عاشت غالبية الدول الإسلامية فترات زمنية متفاوتة تحت الاستعمار الغربي الذي استغل ثرواتها، وسخرها لخدمة مصالحه الاقتصادية والسياسة، بل ربطها اقتصادياً باقتصاده، وعلى الرغم من أن هذه المرحلة قد انتهت، إلا أن العالم الإسلامي يعيش اليوم مرحلة الاستعمار الحديث، وهو استعمار أخطر وأدهى من الاستعمار الأول، لأنه يريد تحطيم عقيدة وهوية الأمة الإسلامية بكافة الوسائل والسبل، ووضع لذلك مخططات منها مايلي:

المخطط السياسي والاقتصادي: ويرمي إلى السيطرة على الشعوب الإسلامية عن طريق الهيمنة السياسية والاقتصادية المباشرة وغير المباشرة، فالاستعمار الحديث مثلاً يريد فرض سيطرته عن بعد على اقتصاد الدول الإسلامية، بإبقائها فقيرة، معتمدة عليه دائماً، فيسهل استعبادها، وهو يرمي أيضاً إلى تعزيز سيطرته عن طريق إيقاع الفتنة والشقاق بين دول العالم الإسلامي، باصطناع عملاء له من المسلمين لتنفيذ أغراضه، مثل زرع التمرد على السلطة، وإحداث فتنة وبلبلة في صفوف المسلمين، وعلى العادات والتقاليد، وأخيراً وهذا هو الأهم بربط دار الإسلام اقتصاديا بالدول الاستعمارية عن طريق التكتلات الاقتصادية،

واحتكار المال، وإدخال البلاد في نطاق عملة البلد المستعمر، ثم بتقديم المعونات الاقتصادية المشروطة للبلاد لتبقي مكبلة دائماً تحت سيطرته أما سياسياً فقد أعطى المستعمرون للبلاد التي استعمروها بعد أن خرجوا منها ما سمي بالاستقلال المميز، وذلك أنهم سلموا الحكم لفئات تعلمت في مدارسهم، وتشربت حضارته ومبادئها الغربية المادية، فنشأت غريبة عن وسطها الإسلامي، وبعيدة عن إرثها الحضاري الإسلامي، علمانيين في أفكارهم، غربيين في توجهاتهم، محاربين لعقيدة أمتهم الإسلامية بشتى السبل، وعندما سلم المستعمرون لهم مراكز القيادة والتوجيه، لم تتغير الحال كثيراً بعد هذا الاستقلال المزيف، بل ظلت البلاد تعاني آثار الغزو الفكري، والتسلط السياسي والاقتصادي، وتتخبط في مسيرتها في معظم الأقطار الإسلامية بعيداً عن هدي دينها وشريعته السمحة ووقع الصراع في كثير من البلدان الإسلامية نتيجة التبعية السياسية، والمحاور المتنافرة التي ترتبط بها هذه البلاد، ونتيجة للمشاكل التي زرعها المستعمرون في كل بلد من البلاد التي سيطروا عليها، فهناك مشاكل الحدود المصطنعة والتي صارت مشاكل مزمنة بين الأقطار الإسلامية المتجاورة، وحالت دون التعاون فيما بين تلك الأقطار، والأمثلة لذلك كثيرة، الصومال مع جيرانه، العراق وإيران، سوريا وتركيا، الهند وباكستان، بنجلاديش والهند وكشمير، اليمن وعمان وغيرها من الأمثلة .

واكتوت هذه الأقطار بنار الصراع العالمي لحساب غيرها من الدول الكبرى التي تتسابق إلى الثروات والمصالح في العالم الإسلامي، وتعمل على أن يبقى هذا العالم مسلوب الإرادة، مستنزف الموارد مشتت الولاءات، بعيداً عن عقيدته الصحيحة، ومثله القويمة التي ترسم له طريق الخلاص من كل ألوان التبعية، وتدفعه نحو بناء الأمة القوية التي تحمي استقلالها وثرواتها من كل طامع أئيم وكما اقتسم المستعمرون العالم الإسلامي، فقد شجعوا الأحزاب القومية، والطائفية والإلحادية التي عملت على تمزيق البلاد بتناحرها وولائها للأجنبي خدمة لمصالحه وجاءت الولايات المتحدة الأمريكية لثرت الاستعمار فمارست كل الممارسات الاستعمارية السابقة، ولكن عن بعد وبذكاء، وبأساليب حديثة، كالدعوة إلى العولمة وإلى بسط سلطان المؤسسات المالية التي ترعاها وتهيمن عليها، كالبنك الدولي، وكمؤسسة النقد العالمية، وما شاكلها، وكانت أمريكا كما كانت الدول الاستعمارية القديمة تدرك أن الخطر الأعظم عليها وعلى مخططاتها هو الوحدة الإسلامية، ومن ثم كان همها الأول أن تعمل لمنع تلك الوحدة، أو التضامن الإسلامي، وتشجيع كل ما يساعد على ذلك المنع ففرزت ما من شأنه ترسيخ التبعية السياسية في مجال الحكم، والاقتصاد والفكر .

المخطط الفكري – الغزو الثقافي: يرتكز هذا المخطط على نشر الأفكار التالية بين المسلمين في محاولة لزرع الشك في دينهم الإسلامي، ثم في

النهاية التخلي عنه كنظام متكامل للحياة، وهذه الأفكار هي الفكر العلماني - حركة التنصير - حركة الاستشراق- بث الفكر السياسي الغربي - كالفكرة القومية، والاشتراكية، والشيوعية، وما شابه ذلك من أفكار وهدف الاستعمار الغربي من وراء كل هذه المخططات سياسية كانت أم اقتصادية أو فكرية، هو تأكيد قبضته، وهيمنته على أرض المسلمين، وعلى عقولهم وقلوبهم، ومحاولة إضعاف دينهم، وفكرهم الإسلامي، وتشكيكهم فيه، حتى يبقى العالم الإسلامي خلوًا من أي توجيه أو فكر أصيل، وليبقى الباب مفتوحًا أمام الفكر الغربي العلماني، فيتسنى للمستعمرين السيطرة عليه وهذا الأسلوب هو ما عرف بالغزو الفكري، والذي يعتمد الوسائل غير العسكرية، وغير المباشرة لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية، وصرف المسلمين عن التمسك بدينهم وسلاح هذا الغزو هو: الفكرة، والحيلة، والرأي، والنظريات، والشبهات - ثم حرب شاملة ممتدة إلى شعب حياة المسلمين كلها وقد أدرك الاستعمار أن هزيمة المسلمين لن تكون بالسلاح، ولكن تكون بحربهم في عقيدتهم التي هي مكن القوة فيهم، وبإحداث فراغ فكري بين أبناء الأمة الإسلامية، واقتلاعها من جذورها الحضارية، وذلك عن طريق إظهار تهافت، وعدم جدوى كل ما تملكه من مقومات أمام متطلبات عصر الذرة، وغزو الفضاء وهذا الأسلوب هو ما يعرف اليوم بالغزو الثقافي، والغزو الفكري وهو أكثر خطراً من الغزو العسكري إذ أنه لا يعتمد على

استخدام القوة، والمواجهة المسلحة، ولكنه يلجأ إلى أساليب أخرى مكررة ولكنها شديدة والخطر، إذ أنها غزو للعقول والقلوب، يعمل في هدوء تام، غالباً عن طريق بعض أبناء الأمة ممن تربوا في معاهدة، وجامعاته الاستعمارية، فأصبحوا خداماً لفكره، وأداة طيعة في يده يوجهها ضد أعدائه من دعاة الفكر الإسلامي الأصيل، محدثاً بذلك صراعاً داخلياً بين أبناء الأمة الواحدة، وفوضى فكرية يستطيع من خلالها زرع بذور أفكاره الهدامة الرامية إلى صرف المسلمين عن التمسك بعقيدتهم، بل والقضاء على ذاتيتهم الإسلامية المتميزة، والتي يرى في تمسك المسلمين بها خطراً داهماً عليه فالقائمون على الغزو الثقافي من مستعمرين وأتباعهم يهدفون إلى ضرب الإسلام من الداخل عن طريق إضعاف فاعليته وعزله عن التأثير في حياة المسلمين فهم يريدون تحييد الإسلام، بتشويه عقائده ومثله، ويريدون كذلك إظهار اتباعه في أبشع صور التخلف، والهمجية، والتطرف .

خطة ينون: استمراراً للاستراتيجية الامبريالية ولضمان تفوق إسرائيل وضعت إسرائيل خطة هي خطة ينون وتتلخص في أن على إسرائيل إعادة تشكيل محيطها الجيوبوليتيكي من خلال تفتيت الدول العربية إلى دول أصغر وأضعف وكان المخططون الإسرائيليون يرون في العراق التحدي الاستراتيجي الأكبر بين الدول العربية ولهذا السبب اختير العراق كمحور لتفتيت العالم العربي وحسب مفاهيم خطة ينون، دعا المخططون

الإسرائيليون إلى تقسيم العراق إلى دولة كردية ودولتين عربيتين، واحدة للمسلمين الشيعة والآخرى للمسلمين السنة وكانت أول الخطوات باتجاه ترسيخ ذلك هي الحرب بين العراق وإيران التي ناقشتها خطة ينون وتدعو إلى تقسيم لبنان ومصر وسوريا وعلى نفس الخطوط، يتم تقسيم إيران وتركيا والصومال وباكستان وتدعو خطة ينون أيضا للتفكيك في شمال أفريقيا وتنبأ بأن يبدأ ذلك من مصر ثم السودان وليبيا وبقية المنطقة وليس صدفة أن تتم مهاجمة المسيحيين المصريين في نفس وقت الاستفتاء حول جنوب السودان وقبل أزمة ليبيا وليس صدفة أن يجبر المسيحيون العراقيون وهم من أقدم المجتمعات المسيحية في العالم على الهجرة، تاركين أرض أجدادهم في العراق (١) ويتراقق ذلك مع خروج المسيحيين العراقيين الذي حدث تحت أنظار وصمت القوات العسكرية الأمريكية والبريطانية، وتطهير بغداد طائفياً حيث أجبر الشيعة والسنة بالعنف وفرق الموت على تشكيل جيوب طائفية وهذا يرتبط بخطة ينون وإعادة تشكيل المنطقة كجزء من هدف أوسع إذن أهداف خطة ينون هي تقسيم لبنان وسوريا إلى عدة دول على أساس ديني وطائفي للسنة والشيعة والمسيحيين والدروز وأيضا ربما يكون هناك مسعى لتهجير المسيحيين من سوريا أيضاً وقد عبّر رئيس

١ - الخطر الصهيوني الأمريكي - شيعي - أسامة عبد الرحمن - ص ٥٨

كنيسة أنطاكية المارونية السريانية الكاثوليكية، عن مخاوفه من عمليات تطهير المسيحيين العرب في الشرق.

مخطط برنارد لويس لتفتيت العالم الإسلامي: ما يحدث الآن هو تحقيق وتنفيذ للمخطط الاستعماري الذي خططه وصاغته وأعلنته الصهيونية والصليبية العالمية؛ لتفتيت العالم الإسلامي، وتجزئته وتحويله إلى فسيفساء ورقية يكون فيها الكيان الصهيوني السيد المطاع، وذلك منذ إنشاء هذا الكيان الصهيوني على أرض فلسطين ١٩٤٨م، وحتى لا ننسى ما حدث لنا وما يحدث الآن وما سوف يحدث في المستقبل، فيكون دافعاً لنا على العمل والحركة؛ لوقف الطوفان القادم فبرنارد لويس أعدى أعداء الإسلام على وجه الأرض وصاحب أخطر مشروع في هذا القرن لتفتيت العالم العربي والإسلامي من باكستان إلى المغرب، والذي نشرته مجلة وزارة الدفاع الأمريكية.

وبرنارد لويس كتب كثيراً عن كل ما يسيء للتاريخ الإسلامي متعمداً، فكتب عن الحشاشين، وأصول الإسماعيلية، والقرامطة، وكتب في التاريخ الحديث نازعاً النزعة الصهيونية التي يصرح بها ويؤكدّها ونشرت صحيفة وول ستريت مقالاً قالت فيه إن برنارد لويس قد وُفّر الكثير من الذخيرة الأيديولوجية لإدارة بوش في قضايا الشرق الأوسط والحرب على الإرهاب؛ حتى إنه يُعتبر بحقّ منظراً لسياسة التدخل

والهيمنة الأمريكية في المنطقة وقدم تأييداً واضحاً للحملات الصليبية الفاشلة، وأوضح أن الحملات الصليبية على بشاعتها كانت رغم ذلك رداً مفهوماً على الهجوم الإسلامي خلال القرون السابقة، وأنه من السخف الاعتذار عنها ولم يقف دور برنارد لويس عند استنفار القيادة في القارتين الأمريكية والأوروبية، بل شارك لويس في وضع إستراتيجية الغزو الأمريكي للعراق؛ وابتدع لويس للغزو مبرراته وأهدافه التي ضمّنها في مقولات صراع الحضارات والإرهاب الإسلامي.

يقول برنارد لويس بالنص إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون، لا يمكن تحضرهم، وإذا تركوا لأنفسهم فسوف يفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمر الحضارات، وتقوض المجتمعات، لذلك فإن الحلّ السليم للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم، وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية، وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة؛ لتجنب الأخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان، ومن الضروري إعادة تقسيم الأقطار العربية والإسلامية إلى وحدات عشائرية وطائفية، ولا داعي لمراعاة خواطرهم أو التأثير بانفعالاتهم وردود الأفعال عندهم، ويجب أن يكون شعار أمريكا في ذلك، إما أن نضعهم تحت سيادتنا، أو ندعهم ليدمروا حضارتنا، ولا مانع عند إعادة احتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب

المنطقة على الحياة الديمقراطية، ولا مانع أن تقوم أمريكا بالضغط على قيادتهم الإسلامية ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الإسلامية الفاسدة، ولذلك يجب تضيق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها، واستثمار التناقضات العرقية، والعصبية القبلية والطائفية فيها، قبل أن تغزو أمريكا وأوروبا لتدمر الحضارة فيها وفي عام ١٩٨٠م والحرب العراقية الإيرانية مستعرة صرح مستشار الأمن القومي الأمريكي بريجنسكي بقوله إن المعضلة التي ستعاني منها الولايات المتحدة من الآن ١٩٨٠م هي كيف يمكن تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم على هامش الخليجية الأولى التي حدثت بين العراق وإيران تستطيع أمريكا من خلالها تصحيح حدود سايكس-بيكو وفي عام ١٩٨٣م وافق الكونجرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية على مشروع برنارد لويس، وبذلك تمّ تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية لسنوات مقبلة.

الشرق الأوسط الجديد: تردد في الآونة الأخيرة مصطلح الشرق الأوسط الجديد وهو سليل مجموعة من المصطلحات الأخرى مثل النظام العالمي الجديد، الشرق الأوسط الكبير وقد ظننا أن مثل هذه المصطلحات قد دفنت بلا رجعة ولكن بعد الهجوم الإسرائيلي على لبنان في الحرب الأخيرة، أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية أن الشرق الأوسط الجديد سيولد من

رحم هذه الحرب فما هو هذا الشرق الأوسط الجديد؟ هل هو بالفعل جديد؟! يمكن القول إن الإستراتيجية الغربية تجاه العالم الإسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر تنطلق من الإيمان بضرورة تقسيم العالم العربي والإسلامي إلى دويلات دينية مختلفة، حتى يسهل التحكم فيه وقد غرست إسرائيل في قلب هذه المنطقة لتحقيق هذا الهدف فعالم عربي يتسم بقدر من الترابط وبشكل من أشكال الوحدة يعني أنه سيشكل ثقلاً إستراتيجياً واقتصادياً وعسكرياً، ويشكل عائقاً أمام الأطماع الاستعمارية الغربية وفي إطار الوحدة والتماسك تشكل إسرائيل جسماً غريباً تلفظه المنطقة مما يعوق قيامها بدورها الوظيفي، كقاعدة للمصالح الغربية اما في إطار عالم عربي مقسم إلى دويلات ودينية بحيث تعود المنطقة إلى ما قبل الفتح الإسلامي، أي منطقة مقسمة إلى دويلة فرعونية في مصر وأخرى آشورية بابلية في العراق وثالثة آرامية في سوريا ورابعة فينيقية في لبنان، وعلى القمة تقف دولة عبرية متماسكة مدعومة عسكرياً من الولايات المتحدة في فلسطين ففي إطار التقسيم تصبح الدولة الصهيونية الاستيطانية، المغروسة غرساً في الجسد العربي، دولة طبيعية بل وقائدة فالتقسيم هو في واقع الأمر عملية تطبيع للدولة الصهيونية التي تعاني من شذوذها البنيوي، باعتبارها جسداً غريباً غرس غرساً بالمنطقة العربية وكما قال شمعون بيريز: لقد جرب العرب قيادة مصر للمنطقة مدة نصف قرن، فليجربوا قيادة إسرائيل إذن وهذه

هي الرؤية التي طرحها برنارد لويس منذ السبعينيات وتبناها المحافظون الجدد، وتدور السياسة الأميركية في إطارها ويبدو أن الولايات المتحدة بعد أن ذافت مرارة الفشل في العراق وأفغانستان قررت أن تعهد لإسرائيل بتنفيذ مخططها الاستعماري بحيث تقوم بتدمير لبنان وحكومتها فيتحول لبنان إلى بلد ديمقراطي على الطريقة العراقية، أي يدور في فلك المصالح الأميركية وتتساقط قطع الدومينو العربي، الواحدة تلو الأخرى، كما تنبأ برنارد لويس، وقد أكد وليام كريستول أن هذه فرصة للولايات المتحدة أن تأخذ زمام المبادرة مرة أخرى في المنطقة هذا هو الإطار الذي يتحرك داخله رالف بيترز، وهو ضابط متقاعد يحمل رتبة مقدم، وضع مخططاً لإعادة تقسيم الشرق الأوسط في مقال نشر بمجلة القوات المسلحة الأميركية في عدد يونيو ٢٠٠٦، نقلاً عن مقال لبيان الحوت الشرق الأوسط الجديد مشروع أمريكي محكوم بالفشل ولا تعود أهمية المقال إلى عمقه أو إمكانية تحقيقه، وإنما إلى أنه يبين ما الذي يدور في خلد دعاة الشرق الأوسط الجديد، خاصة وأن الذي كتبه شخص مسؤول كان يعمل بالمخابرات العسكرية الأميركية ثم يقدم بيترز خريطته للشرق الأوسط الجديد فيتحدث عن تقسيم العراق إلى ثلاثة أجزاء، دولة كردية بالشمال، ودولة شيعية بالجنوب، ودولة سنية بالوسط ستختار الانضمام إلى سوريا مع مرور الزمن ويصف المقدم المتقاعد السعودية بأنها دولة غير طبيعية، ويقترح أن يقطع منها كل

من مكة والمدينة المنورة حتى تنشأ فيها دولة إسلامية مقدسة على رأسها مجلس يترأسه بالتناوب أحد ممثلي الحركات والمدارس الإسلامية الرئيسية، أي أن يكون المجلس نوعاً من فاتيكان إسلامي أعلى كما يقترح إضافة الأرض المقطوعة من شمالي السعودية إلى الأردن، وأن تقتطع أرض من جنوبي البلاد كي تضاف إلى اليمن، وأما شرقي البلاد فلن تسلم أيضاً من المقص، إذ تقتطع منها حقول النفط لمصلحة دولة شيعية عربية أما المملكة الأردنية الهاشمية فستحتفظ بأراضيها وتضاف إليها أرض من شمالي السعودية، كما سيرتبط مستقبل الضفة الغربية بها أما الإمارات فيطلق ببيتروز عليها اسم الدولة المدينة تشبهاً بالمدن اليونانية قديماً وقد يُدمج بعضها مع الدولة العربية الشيعية التي تلتف حول الخليج الفارسي، وستصبح قوة توازنٍ مقابل الدولة الفارسية لا حليفاً لها.

أما دبي، فيتكرم عليها بالسماح كي تبقى مسرحاً للأغنياء الفاسقين وأما عُمان والكويت، فتحتفظ كل منهما بأراضيها ويفترض أن إيران، وفقاً لهذا المشروع الجهنمي، ستفقد الكثير من أراضيها لصالح أذربيجان الموحدة، وكردستان الحرة، والدولة الشيعية العربية، وبلوشستان الحرة، لكنها تكسب أراضي من أفغانستان حول هيرات. ويطرح رالف ببيتروز تصوره بأن إيران سوف تصبح في النهاية بلداً

فارسيًا من جديد وينتهي بـبترز إلى أن تعديل الحدود بناء على رغبات الناس قد يكون مستحيلًا، لكنه من الممكن أن تنشأ حدود جديدة مع الزمن. فتعديل حدود الشرق الأوسط الأكبر، بناء على روابط الدم الطبيعية والعقيدة الدينية، ضرورة ملحة لحقن الدماء ومن هنا مسؤولية الولايات المتحدة وحلفائها ويختتم مخططه بقوله سيستمر جنودنا، رجالاً ونساءً، في الحرب من أجل الأمن والسلام ضد الإرهاب، من أجل نشر الديمقراطية، ومن أجل حرية الوصول إلى منابع النفط بمنطقة مقدر لها أن تحارب نفسها وهذا التصور للشرق الأوسط الجديد لصيق بالرؤية الصهيونية منذ بدايتها.

وبعد أن ينكسر الفيلق العربي وتضرب عمان بالقنابل، سوف يكون بإمكاننا إزالة دولة الأردن، وبعد ذلك سوف تسقط سوريا، وإذا اجترأت مصر على محاربتنا فسوف نقصف بورسعيد والإسكندرية والقاهرة، وهكذا ننهي الحرب ونقضي قضاء مبرماً على مصر، وأشور بالنيابة عن أسلافنا وقد حاول شارون وضع الجزء الخاص بلبنان في هذا المخطط موضع التنفيذ عام ١٩٨٢، ولكن المقاومة اللبنانية اضطرته للانسحاب إلى الجنوب ثم إلى الدولة الصهيونية ولكن شارون نجح في الآونة الأخيرة في تحقيق التطابق الكامل بين السياسة الإسرائيلية والسياسة الأمريكية بإعلان حرب لا نهاية لها ضد الإرهاب، كما نجح في الجمع

بين سياسة التوسع الاستيطاني وضم الأراضي ونهج الفصل العنصري ووافقه الولايات المتحدة على ذلك ودعمته.

فقد طرح خطته لإعادة تنظيم الشرق الأوسط (في حديث له مع آري شفيط من صحيفة هآرتس) فاقترح ضم ١٢% من الضفة الغربية إلى الدولة الصهيونية و ٦٠٠ كلم ٢ أخرى من مصر تُضم إلى قطاع غزة ويوطن فيها مليون نسمة لإقامة ميناء بحري ومطار دولي على أن تعطى مصر ١٥٠ كلم ٢ في النقب تعويضاً لها وقد قام عبقرى آخر وهو جاي بخور في يديعوت أحرונوت يوم ٢٧/٧/٢٠٠٦ بتقديم خطته لإعادة صياغة الشرق الأوسط والخطة لا تعدو أن تكون شكلاً من أشكال الأحلام المتورمة، ولكنها مع هذا تعطينا فكرة عما يدور في خلد الولايات المتحدة وإسرائيل ويبدأ المقال بالقول إنه يجب عدم العودة للشرق الأوسط القديم الذي يصفه الكاتب بأنه توجد فيه دولة ذات نظام مجنون تتسلح بسلاح ذري وتسلح رفيقاتها وهذا بطبيعة الحال لا يعني إسرائيل والعراق غارق في حرب أهلية، ومنظمات راديكالية تسيطر على حكومات ونظم حكم، وهذه بدورها تمنح جماعات مخربين مسلحة دعماً قوياً وعلاقة متسامحة.

ثم يستأنف العبقرى الحديث قائلاً: ثمة حاجة إلى تغيير جوهرى، فلم تنجح هذه الدول في منح مواطنيها حياة ثقافية كاملة، ومعظم شعوبها

فقيرة، وهي دول تتسم كلها بالطغيان ولا تُنطق كلمة الديمقراطية ولو في دولة واحدة، وإذا ما تمت محاولة ديمقراطية في بعضها، فإن النتيجة تكون تولي نظم إرهابية إسلامية أو فوضى ولنلاحظ التناقض الذي يقع فيه هذا العبقرى، فهو يرفض الطغيان العربى، ولكنه يجد أن الديمقراطية تؤدي إلى الإرهاب الإسلامى ولعلاج هذا الوضع يقترح جاي بخور أن يُقسم العراق إلى ثلاث دول، بمقياس طائفى: سنية في الوسط والغرب، وشيعية في الجنوب، وكردية في الشمال، كما يجب إنهاء نظام سوريا وإعادة الأكرية السنية إلى الحكم وعلى الأردن أن يتحمل المسؤولية عن الضفة الغربية، وبهذا ينشأ كيان فلسطينى واحد فينتشر الفلسطينيون إلى الشرق بعيداً عن إسرائيل بطبيعة الحال لا إلى الغرب في اتجاه الدولة الصهيونية والمطالبة بحق العودة أما مصر فستصبح مسؤولة عن قطاع غزة، وهو شيء حسب تصوره أصبح يحدث في الواقع أكثر فأكثر ويجب إعاقة إيران بعقوبات شاملة، ويجب أن يقوم في لبنان نظام دولى جنوب الدولة وشرقها، لمنع عودة الأصولية الشيعية أو غيرها

الدور الصهيونى فى تقسيم المنطقة العربية: تدل الكثير من المؤشرات والشواهد التي ظهرت في الآونة الأخيرة، على دور صهيونى في إرساء واقع عربى ممزق متناثر، بحيث تنعم إسرائيل باستقرار نسبى حين

تنشغل الدول العربية المقسمة ببعضها بعضاً فعدد من الدول العربية في المنطقة شهدت تحركات جماهيرية ضد أنظمتها الاستبدادية، وهو ما دفع تلك الأنظمة للزج بشعوبها في أتون صراعات داخلية دامية على أسس مختلفة: سياسية، اجتماعية، عرقية، ودينية؛ لتحقيق أهداف معينة، أهمها: إرجاء ساعة الصفر المتمثلة في سقوطها كلياً عن سدة الحكم ويتمثل الدور الصهيوني في مخطط التقسيم بافتعال صراع سني - شيعي بين المسلمين لجعل الصراع أكثر ضخامة وجدة، فيتحول إلى فتنة بين الشعوب والطوائف والأديان، ليشمل المسلمين والمسيحيين، العرب والبرابرة والأتراك والإيرانيين، وهكذا فالعملية الأساسية تهدف إلى نشر الكراهية الطائفية والعداء الديني والانقسامات العرقية في المنطقة؛ من للعمل على زعزعة استقرار البلاد التي تتمتع بخطوط تقسيم طبيعية، فعندما يشتعل العداء والصراع الطائفي والعربي والديني في بلد عربي ما، سيمتد هذا الصراع لباقي دول المنطقة وتعتقد دوائر صنع القرار في الكيان الصهيوني أن النماذج العملية لتحقيق ذلك التقسيم تتمثل في أن الصراع الدائر في ليبيا قد يمتد إلى نيجيريا وتشاد وأن الحرب الأهلية المشتعلة في سورية ستمتد إلى لبنان وتركيا والاضطرابات التي شهدتها مصر في أوائل الثورة سعت إسرائيل وحليفاتها للإيقاع بين المجلس العسكري والقوى الإسلامية كما تشهد السودان العديد من الاضطرابات الداخلية، وتم التلاعب في الهوية السياسية في البلاد، مما أدى إلى

انفصال جنوبه عن شماله يقول دوري جولد، رئيس مركز القدس للشؤون العامة ومستشار رئيس الوزراء الصهيوني بنيامين نتنياهو، إن ما يحدث في المنطقة العربية هو نقطة لخلق شرق أوسط مختلف تعم فيه الفوضى، ويعتبر تحقيقاً لأمنيات وطموحات بعيدة لدى صانعي السياسة الصهيونية المهتمين جداً بالتطورات الإقليمية مما يعني أن تل أبيب مستفيدة مما يحدث، لأن لديها مصلحة في رؤية البلدان العربية منقسمة إلى أجزاء متقاتلة، وفي حالة حرب أهلية مستمرة، باعتبار ذلك مفتاح الضغط الرئيسي في الشرق الأوسط، لأن خلق الفوضى فيها سيؤدي إلى انهيار إقليمي ولذلك؛ تسعى إسرائيل إلى تطبيق سيناريو مفضل لديها من خلال إثارة نعرات حقوق الأقليات في بلدان عربية بعينها، وأن تسيطر الحروب الأهلية الطائفية عليها، وتشتعل النزاعات المسلحة فيها، مما سيسفر في النهاية عن حالة عدم استقرار فيها، وعدم الأمان وفي هذه الأجواء تبرز إسرائيل كعامل رئيس في تقرير توجهات المنطقة عندما طرح شمعون بيريز مشروعه الذي دعاه الشرق الأوسط الجديد برعاية ودعم الولايات المتحدة ومباركة أوروبا، وإذا كانت الفكرة ليست جديدة في الاستراتيجية الصهيونية، فإن ما هو جديد في طرح التغير الحادث في النظام العالمي، وانتقاله من القطب الثنائي إلى نظام أحادي بهيمنة أمريكية، والنتائج التي تمخضت عنها حرب الخليج الثانية، وما تلاها، بدءاً من انعقاد مؤتمر مدريد، ثم الإعلان عن اتفاق أوسلو مع

الفلسطينيين، واتفاقية وادي عربة مع الأردن، كإضافة ضرورية لاتفاقية كامب ديفيد مع مصر ويتبلور الموقف الإسرائيلي في نظرة التجزئة لمنطقة الشرق الأوسط في تقسيم المنطقة إلى المجموعات التالية:-

الجزيرة العربية والخليج - شرق البحر المتوسط- شمال أفريقيا ولعل أخطر ما في مشروع بيريز أنه يطرح والعرب في أشد حالات التفكك والانهازم الذاتي، والتشتت وغياب الإرادة العربية، واستنفاد طاقاتهم في عدد من الخلافات أو الصراعات التي لا طائل منها، وفي وقت وصل فيه النظام الإقليمي العربي إلى أسوأ حالاته ويمكن هنا أن نعدد أهم مخاطر مشروع التقسيم للمنطقة العربية: إلغاء الهوية العربية للمنطقة، تمييع القضية الفلسطينية، وطمس الحقوق الوطنية ومزيد من التبعية والإلحاق والهيمنة، وتحقيق إسرائيل اختراقها العملي للأسواق العربية، من خلال خضوع العرب لمعادلة جديدة في تقسيم العمل على النحو التالي: النفط الخليجي والأيدي العاملة المصرية والمياه التركية والتأثير الإسرائيلي ومن ثم، فإن النتيجة المنطقية حدوث اختلال إضافي في ميزان القوى وإغلاق الباب نهائياً أمام التكامل الاقتصادي العربي، وربط البلدان فرادى بالاقتصاد العالمي عن طريق الاتحاد الأوروبي.(١)

١- مجلة البيان العدد ٣٠٥ محرم ١٤٣٤هـ، نوفمبر ٢٠١٢م.

الفصل الثاني: تدمير الاقتصاد

العقوبات الدولية: العقوبات التي يفرضها مجلس الأمن أو الإدارة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي على هذه الدولة أو تلك، لم تكن في يوم من الأيام إلا لتحقيق مصالح خاصة لهذه الدول، ولأنها دول ذات استراتيجية امبريالية عدوانية، فبالتأكيد هذه العقوبات تصب في العدوان على الشعوب، خاصة والأنظمة السياسية آخر من يتأثر بهذه العقوبات، وكثيراً ما تغدق الأموال على المعارضة التي تعمل بتوجيه من سادتها ضد المصالح والأهداف الوطنية، مما يشير إلى أن العقوبات تجويع للشعب واشباع للمعارضة، فإين هي مصالح الشعوب التي تنادي بها الامبريالية العدوانية ذات التاريخ الأسود في إذلال الشعوب ونهب ثرواتها؟ وقد تعاني الشعوب المستهدفة بقوانين الحصار الجائر والعقوبات الدولية البغيضة والاجرامية أكثر مما تعاني من الحروب، فالحروب قد تصيب نسبة من هذه الشعوب المستهدفة ولكن الحصار يصيب كل فرد فيها فقد كان أثر الحصار على العراق مدمراً على الأرض والإنسان والحيوان، حيث خضع العراق لثلاث عشرة سنة دامية، أدت لانهاك الانسان، وكان ما يسمى بالمعارضة تتسكع على أبواب السفارات في لندن وباريس وواشنطن، لا يهتمها ما أصاب المواطنين من حرمان من الحياة، وأخذت ليبيا نصيبها من الحصار،

وهاهي سوريا تنن تحت وطأة العقوبات الاقتصادية التي فرضتها الدول الأوروبية والإدارة الأمريكية، وإذا كان العراق قد فقد أكثر من مليون طفل لم يرف جفن واحد لأي من دعاة حقوق الانسان، فقد كان المؤلم المبكي أن دولاً عربية واخرى اسلامية لا هذه تحركت فيها أخوة الدين، ولا تلك أخوة العروبة، بل كان الجميع أدوات في تطبيق سياسة العقوبات الظالمة.

تدمير التربة والزراعة العربية: إن هدف الكيان الصهيوني في البداية والنهاية تدمير الإنسان والتربة ولهذا توقع الخبراء الزراعيين أن تؤدي البذور القادمة منه علي المدي الطويل إلي إصابة الأراضي بأمراض خطيرة تجعلها غير قادرة علي الإنتاج في الوقت نفسه الذي تكون فيه الزراعات قد انقرضت، حيث تتميز المنتجات الإسرائيلية علي المدي القصير بوفرة محصولها وجودتها وهو ما أدي إلي إقبال الفلاحين علي شراءها، والزراعات الإسرائيلية أدت للقضاء علي بعض الزراعات المصرية التي اشتهرت بها مصر عبر السنين مثل مشمش الفيوم والخيار البلدي والشمام وخلافه وكشفت أوراق ومستندات الهيئة العامة للتعمير عن قيام وزير الزراعة السابق يوسف والي بتخصيص أكثر من ١٢ ألف فدان لشركة بيكو وأن الشركة لجأت منذ إنشائها إلي إسرائيل واستوردت علماءها للعمل في الشركة، كما قامت الشركة باستيراد الشتلات والبذور من إسرائيل والشركة يعمل بها ١٦٩ خبيراً إسرائيلياً

يقيمون في مصر وقامت بنقل هذه البذور والشتلات إلى الشركات الأخرى مما أدى للقضاء على زراعات مصرية كثيرة مثل الموز المصري والموز المغربي، إضافة إلى قيامها بادخال شتلات المشمش الإسرائيلية من نوع كانينو والأمل إلى مصر للقضاء على المشمش الفيومي والسويسى، كما أدخلت الخوخ من نوع ديسارت وفلوريدا والسكري للقضاء على الخوخ البلدي والسيناوي، كما قضى الموز ماركة وليام جراند على الموز الفلاحي المصري المزروع في الصعيد والقليوبية وباقي محافظات الوجه البحري وهذه المنتجات الإسرائيلية تؤدي على المدى الطويل لإصابة الأرض بأمراض شديدة الخطورة مما يهدد الإنتاج الزراعي المصري والعربي بالنسبة للبلدان العربية الأخرى التى تستورد منها ويؤدي لتجويع الشعب ومثال لذلك اختفاء الكمثرى المصرية بعد إصابتها بمرض الحمرة.

والمنتجات الإسرائيلية تحتاج إلى مبيدات وأسمدة كثيرة مما يؤدي إلى ضعف الأرض على المستوى البعيد وذلك ما حدث بالفعل فبعد أن كانت الأراضي المصرية تنتج ما يقرب من ٢٠ طن فاكهة للفدان الواحد أصبح إنتاجها لا يزيد على ثمانية وهو ما أدى لارتفاع أسعار الفاكهة والخضراوات وهذا الارتفاع في الأسعار أدى لعزوف الفلاح المصري عن زراعة القمح والقطن واتجه لزراعة الفراولة والكتالوب ذوي الأصول الإسرائيلية بحثاً عن الربح السريع، وما تقوم به الشركات

الزراعية الإسرائيلية توصف بأنها عمليات تجسس مشروعة، فالجاسوس يهدف إلى البحث عن الثغرات في الدولة ليقوم بتوجيه دولته إليها في حين أن تلك الشركات تقوم بتدمير الزراعة المصرية ليثور الشعب ويجوع ويصبح المناخ مهيباً لدخول إسرائيل إلى مصر، وكان الاتحاد الأوروبي قد أعلن مقاطعته للمنتجات الزراعية المصرية ومنع دخولها لكل الأسواق الأوروبية بعد قيام ألمانيا باتهام مصر بتصدير حلبة لها مصابة بميكروب بكتيريا الايكولاي وتلك البكتيريا تصيب المعدة وتؤدي إلى تآكل جدرانها وإصابة الإنسان بالنزيف الحاد والاسهال الدموي الذي يؤدي إلى الوفاة وهذا بالفعل ما حدث، وأدت هذه البكتيريا لوفاة ثلاثة ألمان مما دعا الاتحاد الأوروبي لفرض حظر عبر حدوده كلها خوفاً من انتقال المرض إليه وقرار الاتحاد الأوروبي بمنع استيراد الخضروات والفاكهة المصرية يؤدي إلى خسائر فادحة بالاقتصاد المصري، حيث تمثل صادرات مصر الزراعية للاتحاد الأوروبي أكثر من ٨% من الدخل القومي إضافة إلى أن البطاطس المصرية تمثل المرتبة الأولى في صادرات مصر الزراعية لأوروبا ولا ينافسها في ذلك سوى البطاطس الإسرائيلية التي استفادت من هذا القرار وما ينطبق على مصر ينطبق على كل الدول العربية التي لها علاقة مباشرة مع إسرائيل ولعن الله التطبيع .

استنزاف المسلمين: تداعى العالم الإسلامي لبدأ تكسير ذاته في حرب تحرير الكويت، فازداد التباعد بدل التقارب، وتم التفتن فى طرق التفرقة، وبدلاً من التسامح والرقى والتعاقد أصبحت الفرقة تزداد كل يوم وبدأ التصادم مع بعضه البعض ومع المحيط به والمحيط العالمي أو الغربي بالذات وأصبح المسلمون لا يفيقون من حرب إلا وتتلوها حرب وموت يولد موتاً وخراب أرض وحرث ونسل، مجرد تتبع للأخبار عبر بضعة أيام يظهر لنا كم نخسر من البشر كل يوم، وهي ليست خسارة بشر فقط لكن معها خسارة ثقافة وبناء، وتأجيج روح الحرب بدل السلام فيما بيننا بل تعدى القتل والذبح والعذاب، درجة الإدمان .

اسرائيل لم تعد العدو فقد تم إيجاد أعداء من الداخل العربي والإسلامي بل أصبح العرب يذبجون بعضهم من جهة أخرى هذا الاستنزاف جاء على عدة محاور تجتمع أحياناً وتتفرق أحياناً أخرى حسب الظروف فمحور التفكيك وهو تفكيك على جهات مختلفة، تفكيك الروح القومية وتسطيح العقل العربي والهجوم على جغرافية المنطقة الإسلامية وتاريخها وكان أول غيثها الغث هو إلغاء العالم العربي من الخارطة وأصبح بدلاً منه الشرق الأوسط كل الإذاعات العربية وغير العربية وكل العالم أصبح يقول الشرق الأوسط والمحور الثاني تخليص العالم الإسلامي من العلم، وهو أول درجة في سلم الشخصية العربية، فالعلم

يعني العمل، وهو من أهم مكونات الثقافة، ضمن هذا المحور يدخل أيضا تفريغ العالم العربي والإسلامي من علمائه، وبعث الشرارات المحرقة خاصة في الدول التي طورت دفاعاتها وثم تجريدها من سلاحها بطرق ملتوية ومحور تحطيم الموارد الاقتصادية وافقار الدول الإسلامية وتكبيّلها بالديون، وبعث روح الإفساد في القائمين على الاقتصاد في بعض الدول الإسلامية والتستّر عليهم والحصار ومنع الدواء والغذاء ونشر الأوبئة، والعقاب الجماعي ومحور تفريغ الدول الإسلامية من أهلها عبر الحروب وضربها ببعضها البعض والاحتلال والتهجير العنصري والطائفي.

الحرب البيولوجية: هي الاستخدام المتعمد للجراثيم أو الفيروسات أو غيرها من الكائنات الحية وسمومها التي تؤدي إلى نشر الأوبئة بين البشر والحيوانات والنباتات وسبل مقاومة هذه الأوبئة ومسبباتها، والاستخدام المتعمد للعوامل البيولوجية في الحروب قديم جداً، إذ كثيراً ما لجأ المحاربون القدماء إلى تسميم مياه الشرب والنبذ والمأكولات، وإلقاء جثث المصابين بالأوبئة في معسكرات أعدائهم ولقد استمر اللجوء إلى هذه العوامل حتى القرن العشرين، حيث استخدمها البريطانيون والأمريكان في جنوب شرقي آسيا لتدمير المحاصيل والغابات التي توفر ملجأ لقوات العصابات والمعروف استخدام اسرائيل

للأسلحة المحرمة دولياً والأسلحة البيولوجية لأغراض عديدة وقد تم اكتشاف لقاحات إسرائيلية مهربة تعمل على إصابة الدواجن المصرية بفيروسات خطيرة فقد كشف رئيس الإدارة المركزية للطب الوقائي بالخدمات البيطرية أنه تبين بعد فحص ٢٠٠ مزرعة ومن خلال العينات وجود ٥٧% من المغايرات التي تتوافق مع المعزولات الإسرائيلية والتي تصيب الدواجن بأمراض فيروسية وأمراض انفلونزا الطيور والنفوق الجماعي وتسبب انخفاض معدل البيض والالتهاب الشعبي الحاد والمايكوبلازما والسموم الفطرية للحمى القلاعية وبسلالة جديدة من الفيروس كما ثبت استخدام القوات الأمريكية لها في العراق ولا ننسى في نهايات القرن السابق ما حدث في النخيل العربى نتيجة انتشار حشرة فراشة النخل .

إيقاف مشاريع التنمية: تعتمد الامبريالية العالمية على إيقاف مشاريع التنمية في البلدان المستهدفة وذلك للحيلولة دون نموها الاقتصادي الذي يستتبعه بالضرورة نمو عسكري قد يعوقها عن الهيمنة عليها وذلك ما دفع الامبريالية العالمية إلى إيقاف مشاريع تنمية في بلداننا ومنها كمثال واحد نتحدث عنه مشروع قناة جونجلي في السودان ويعد مشروع قناة جونجلي من مشروعات التكامل الاقتصادي الرائدة بين مصر والسودان ونظراً لأهمية هذا المشروع في مجال التعاون الاقتصادي بين البلدين،

ولما له من آثار بعيدة على حركة التنمية فى كل من جنوب وشمال وادى النيل، فقد احتل اهتمام القيادة السياسية فى كل من مصر والسودان، ويكمن الدافع وراء فكرة مشروع قناة جونجلى، فى أهمية المياه العذبة للحياة لمقابلة الزيادة الكبيرة فى عدد السكان، ولاحتياج الزراعة إلى هذه المياه من ناحية أخرى ومن هنا كان حرص مصر والسودان، وسبقهم إلى الاهتمام بدراسة إيراد نهر النيل، وكيفية المحافظة على هذا الإيراد، والاستفادة القصوى من مياهه وتقليل كمية الفاقد منها ويعتبر مشروع قناة جونجلى، جزءاً من المشروع الشامل الخاص بالسيطرة والتحكم فى حوض النيل بأكمله، وهو المشروع الذى يكمل مشروع بحيرة تانا فمشروع تانا قد خطط للعمل على توفير خزان لتخزين المياه طول العام، لاستخدامها فى أغراض الري فى كل من السودان ومصر كما يهدف إلى توفير احتياطي إضافي من المياه، وإلى المساعدة فى الوقاية من أخطار الفيضان فى الدولتين ففى عام ١٩٣٨ قدم مشروع إلى حكومة السودان، يتضمن اقتراحاً بإنشاء تحويلة تبدأ من قرية جونجلى، وتتجه مباشرة إلى النيل الأبيض، وكان المشروع فى هذا الوقت، عبارة عن حفر قناة تبدأ من قرية جونجلى شرق نهر الأتم، ومدها شمالاً حتى تقابل بحر الزراف، عند نقطة يبدأ بعدها مجراها فى الانتظام الطبيعى، مع إنشاء قناة أخرى من هذه المنطقة، تصل إلى النيل الأبيض لحمل ما يزيد عن كفاية بحر الزراف لتكملة الصرف المطلوب

وقد طلبت الكونغرس إجراء بعض التعديلات والاكتفاء بالتخزين فى بحيرة فكتوريا، بارتفاع قدره ثلاثة أمتار فقط وفى عام ١٩٥٤ قدم فريق الأبحاث الخاصة بمشروع جونجلي تقريراً أوصى باتباع بعض الإجراءات لتعديل المشروع، غير أن السلطات قد تخلت عن تنفيذ هذا المشروع، إلى أن عقد اتفاق مياه النيل بين مصر والسودان عام ١٩٥٩ وفى ديسمبر سنة ١٩٧١ تقدمت الهيئة الفنية المشتركة لمياه النيل إلى الحكومتين المصرية والسودانية، بمذكرة تحتوى على الخطط العريضة لمشروع تقليل الفاقد لمستنقعات بحر الجبل والزراف، وزيادة إيراد النهر كمرحلة أولى لمشروع جونجلي، ووافقا عليه والمرحلة الأولى من تنفيذ مشروع قناة جونجلي، تضيف كمية تقدر ب ٤ مليارات متر مكعب من المياه، سوف تقسم مناصفة بين البلدين، لتصبح حصة مصر ٥٧ مليار متر مكعب وحصة السودان ٢٠ مليار متر مكعب سنوياً، ورغم أن مشروع قناة جونجلي، ليس وليد الساعة ولم يسلم من هجوم الدوائر الاستعمارية والصهيونية، فلقد تعرض المشروع للهجوم العنيف من جانب هذه الدوائر الاستعمارية الأمريكية والصهيونية، حتى توقف تماماً لفترة طويلة .

صناديق الإقراض الدولية: تأسس صندوق النقد الدولي والبنك الدولي منذ أكثر من ٥٠ عاماً وخلال هذه الفترة برهن صندوق النقد الدولي و

توأمة البنك الدولي على أنهما من أهم وأقوى المؤسسات المالية في العالم نظراً لتأثيرهما الفعال على الكثير من اقتصاديات الدول خاصة دول العالم الثالث أو الدول النامية حتى أن هاتين المؤسستين أصبحتا الورقة القوية في يد الدول الكبرى للضغط سياسياً على بعض الدول فمثلاً التغير الذي لا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية تحقيقه في سياسات بعض الدول عن طريق الدبلوماسية والحرب استطاعت أن تحققه عبر صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

فبعد أن شارفت الحرب العالمية الثانية على الانتهاء وجدت أمريكا وحليفاتها التقليدية بريطانيا أن ثمة حاجة إلى مؤسسة مالية تساعد في بناء اقتصاد عالمي متين وتجنب العالم الكوارث الاقتصادية كالتي وقعت في ثلاثينيات القرن الماضي نتيجة لذلك قام ممثل عن حكومة كل من البلدين هما الأمريكي هاري دكستر والبريطاني جون ماينارد كينز بالتفاوض حتى وصلا إلى صيغة نهائية في مؤتمر بریتون وودز في ولاية نيو هامبشير في أمريكا عام ١٩٤٤ ووافقت عليها ٤٤ دولة حيث أعلن قرار إنشاء صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لكن هدف تأسيس البنك الدولي يختلف عن هدف صندوق النقد الدولي الذي يركز في أساسه على تصحيح المسار المالي للمدى القصير أما البنك الدولي فركز على إعادة إعمار أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية ولكن فيما بعد بدأ البنك بالتركيز على الدول الفقيرة والنامية، أما صندوق النقد الدولي

فأرادت له الدول الامبريالية أن يكون أداة لتنفيذ مشاريع الإقراض الخارجي وخلق فرص ذهبية لاستثمارها في البلدان النامية ولهذا تصاغ سياسات صندوق النقد الدولي بالتوافق مع سياسات الدول الامبريالية وللتغطية على النوايا المبيتة والأهداف التي تخطط لها هذه الدول لايقاع البلدان المتخلفة في شباك المديونية الخارجية، وذلك عن طريق إشهار شعارات المساعدة والمعونة وغيرها من الشعارات البراقة التي تخفي وراءها خططاً ومؤامرات لاستعمار العالم النامي وبرزت المؤسسات الامبريالية بدور قوي خلال الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وذلك من أجل حماية المصالح الاقتصادية للدول الاستعمارية وفرض الهيمنة الاستعمارية بالقوة المسلحة، إذ لم تكن الدول الامبريالية تتسامح مع أي تهديد لمناطق نفوذها أو للأنظمة المتحالفة معها والتي تحمي مصالحها لذلك شهدت فترة الحرب الباردة اجتياحات عسكرية وحروب لتدعيم نفوذ الامبريالية وحمايتها كما في فيتنام وكوريا وكمبوديا وجواتيمالا وبنما وأمثلة كثيرة على جرائم الامبريالية خلال هذه الفترة إضافة إلى الحروب التي شنتها الامبريالية عبر وكلائها مثل حرب ١٩٦٧ على البلدان العربية والتي قامت بها إسرائيل بدعم أمريكي سافر، وهكذا قامت الامبريالية طوال فترة الحرب الباردة بقمع الحركات الثورية وحركات التحرر وتآمرت على الأنظمة المناوئة لها عبر العمل العسكري المباشر وغير المباشر لتأكيد نفوذها

وحماية مصالحها.

ومن هنا تأتي شروط صندوق النقد الدولي واضحة في حماية رؤوس الأموال ومن أهم هذه الشروط مع الدول المتعاملة مع صندوق النقد هي الحرية الكاملة لحركة رؤوس الأموال في الدخول والخروج من السوق المحلي وحماية رؤوس الأموال والاستثمارات من المصادرة أو التأميم أو أي إجراء شبيه بذلك هذا إضافة إلى الإعفاء الضريبي والجمركي وتقليص الحماية الخاصة بالعمال وتحرير صرف العملة المحلية.

إن ما سمي بعملية درع البيزو عام ١٩٩٤ هو مثال قوي على الدور الذي يلعبه صندوق النقد الدولي في حماية مصالح الرأسمالية خارج حدودها الوطنية، فبينما كانت عملة المكسيك البيزو على وشك الانهيار وكان هناك حوالي ٥٠ مليار دولار أمريكي مستثمرة في أسهم وسندات حكومية مهددة بالضياع إذا انهارت عملة المكسيك، هنا تدخل صندوق النقد الدولي بشكل حاسم لحماية مصالح المستثمرين الأجانب في المكسيك، فقام صندوق النقد الدولي بإصدار قرار استثنائي، وبمخالفة للقواعد المعمول بها في الصندوق، حيث قدم قرضاً قيمته ١٧.٧ مليار دولار، ووصل هذا القرض إلى ٥٠ مليار دولار بمساعدة بنك التسويات الدولي والحكومة الكندية، ويعد هذا من أكبر القروض المقدمة في التاريخ دفعة واحدة، وبعد إنقاذ الاستثمارات الأجنبية في المكسيك ترك الصندوق الاقتصاد المكسيكي يهوي هكذا فإن المؤسسات الامبريالية

هذه لايستوقف دورها عند دعم المصالح الرأسمالية عبر العالم، ولكنها تتدخل في الوقت المناسب لإنقاذ تلك المصالح ولم تلق الأرجنتين طبعاً هذا الدعم من صندوق النقد الدولي لدى انهيار اقتصادها ونظامها السياسي عام ٢٠٠٢، بل على العكس طالب صندوق النقد الدولي الحكومة الجديدة بعدم إهمال حقوق الدائنين ووضعها في الاعتبار في أي خطط إصلاح وتعد الديون التي تعاني منها دول العالم الثالث أحد آليات الهيمنة الاستعمارية ففي دولة مثل الإكوادور ١٩٩٩ تكبد كل مواطن ٣ دولارات أسبوعياً، لسداد مستحقات الدين، وفي عام ٢٠٠٠ كانت مستحقات الدين نصف ميزانية الدولة، والتوقف عن سداد الديون يعني طبعاً عقوبات اقتصادية قاسية وفي مثال فاضح على حقيقة القروض التي تقدمها الدول الكبرى للدول الفقيرة، القرض الذي قدمته حكومة مارجريت تاتشر لماليزيا لبناء سد برجوا وقيمه ٢٣٤ مليون دولار، الذي دفعته الحكومة الماليزية بعد ذلك لشركتين إنجليزيتين عملاقتين، والجدير بالذكر أن ابن مارجريت تاتشر كان مستشاراً لإحدى الشركتين، كذلك فقد ارتبط الاتفاق سرياً بشراء ماليزيا أسلحة من شركات إنجليزية أما المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لمصر فارتبطت دائماً بقدرة مصر على تسويق المشاريع الأمريكية لتسوية الصراع العربي الصهيوني لصالح إسرائيل، وكذلك بالدعم الذي كانت تقدمه الحكومة المصرية للولايات المتحدة لإتمام مشاريعها الخاصة بالخليج

العربي مثلما حدث في حرب عاصفة الصحراء ١٩٩١ وغزو العراق ٢٠٠٣ إضافة إلى أن هذه المساعدات مشروطة بدعم الشركات الأمريكية ومنتجاتها وشراء الأسلحة الأمريكية وصندوق النقد الدولي يهدف إلى تقديم المساعدة الفنية والتدريب من أجل دعم القطاعات المالية والتقنية وتنظيم الجهاز المصرفي وتحسين إدارة الدين الخارجي والداخلي إلا أن البلدان النامية لم تحصد من هذه الأهداف المعلنة سوى المزيد من الخراب الاقتصادي واستعصاء مشاكل التضخم والبطالة وتراكم الديون الخارجية لأن سياسة الإقراض لصندوق النقد الدولي تقيد البلدان المدينة بحزمة من السياسات الرأسمالية المعبر عنها بوصفها الصندوق التي تجهز على آخر الآمال المرجوة من مساعدات الصندوق لاجتياز الأزمة فالاتجاهات الرئيسية لاستراتيجية الصندوق تشدد الخناق على البلدان النامية بما يخدم مصالح الرأسمال الطفيلي ودفعها نحو المزيد من الاستدانة الخارجية في سبيل تكبيلها بديون باهظة لتكون مدخلاً لفرض شروط الدول الدانئة ومصادرة قرارها الوطني.

ضرب الإمكانات العربية: دأبت الامبريالية العالمية على ضرب مقدرات الأمة العربية يستوى في ذلك عندها ضرب المصانع مصانع الأدوية أو غيره كالمفاعلات النووية فهي أحرص ما يكون على هدم كل المقدرات العربية ومنعها من كل تفوق في أي مجال فبعد عام من ثورة ١٩٥٨ في العراق تم توقيع اتفاق أولي مع الاتحاد السوفييتي السابق من أجل

التعاون النووي وعام ١٩٦٠ تم التوقيع على بروتوكول نهائي لبناء مفاعل نووي تجريبي صغير للأغراض السلمية بطاقة ٢ ميجاوات بين العراق والاتحاد السوفيتي وبالفعل سلمت موسكو بغداد يورانيوم ٢٣٥ مخصب بنسبة عالية وبادرت إلى تأهيل وتدريب وتعليم خبراء عراقيين لإدارته ثم اتجه العراق إلى فرنسا للحصول على التقنيات الغربية المتقدمة والمتطورة في مجال التسليح النووي ولكن دمرت الطائرات الإسرائيلية المفاعل النووي العراقي حلم العراق في توازن القوى مع إسرائيل وهذا ما حذر منه اليهودي إسرائيل شاحاك في كتابه أسرار مكشوفة سياسات الكيان الصهيوني النووية والخارجية قد تجسد واقعاً مؤلماً فقد قال في الصفحة ٥٦ من الكتاب أشعر بأن من الواجب تذكير القراء من غير الصهاينة أنه في حين أن الاستراتيجيات الإسرائيلية إقليمية في توجهها فإن اهتمامها بالفلسطينيين ثانوي فالحقيقة أن قمع الفلسطينيين لا يهم، لأن هدف الاستراتيجية الإسرائيلية في نهاية الأمر هو فرض سيطرتها على كامل الشرق الأوسط من خلال انفرادها بسياستها النووية وقد استغلت إسرائيل للهيمنة وتطبيق سياستها التي ذكرها الحرب العراقية الإيرانية ونقاط ضعف خطيرة في حماية المفاعل العراقي واستثمرت المعلومات والصور التي تلقتها من وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA، وهي الوكالة التي تختص بالعمل على تحقيق السياسة الأمريكية في اعتباراتها القائمة على أن إسرائيل هي

الحليف الأوثق للولايات المتحدة، حيث ثبت قيامها بتزويد إسرائيل بـصور المفاعل ومعلومات تحدد موقعه عن طريق رصده بالأقمار الصناعية وكان لهذه المعلومات دور كبير في نجاح الغارات الإسرائيلية ولم يتوانى العلماء الفرنسيون عن تزويد إسرائيل بالمعلومات خاصة عالم فرنسي كان من ضمن قائمة العلماء الأجانب الذين شاركوا في بناء هذا المفاعل وأشرفوا عليه.

والسودان تعرض للعديد من الضربات الجوية العسكرية حيث ضرب مصنع الشفاء في مدينة بحري، نفذته طائرات أمريكية ودمرت المصنع بالكامل وتكررت الضربات الجوية، عبر طائرات تدخل الأجواء السودانية دون علم الخرطوم حيث دمرت بالكامل قافلة أسلحة في شرق السودان عام ٢٠٠٩ أثناء اتجاهها إلى الأراضي الفلسطينية كما قامت القوات الجوية الإسرائيلية بالتحليق لمدة أربع ساعات من إسرائيل حتى وصولها لجنوب الخرطوم، واخترقت نظم الدفاع الجوي الموجودة جنوب البحر الأحمر، والتي تراقب المياه الدولية هناك، كما أنها اجتازت نظام الرادار في السودان وضربت مصنع اليرموك والتخطيط للعمليات العسكرية من جانب تل أبيب تم عقب العثور على وثائق خاصة بالقيادة بحركة حماس محمود المبحوح، الذي تم اغتياله على يد عناصر من جهاز الموساد عام ٢٠١٠ بدبي وسوريا أيضاً تم ضرب مفاعلها النووي

حيث بعد أن تأكدت إسرائيل من بناء سورية لمفاعل نووي وتوجه رئيس الوزراء الإسرائيلي حينها إيهود أولمرت إلى واشنطن مطالباً إياهم بقصفه بأقصى سرعة لكن الرئيس الأمريكي آنذاك رأى أن مهاجمة سورية بدون ارتكابها لانتهاكات دولية واضحة غير ممكن لذلك طلبت واشنطن من إسرائيل التصرف بمفردها وهنا وجد أولمرت نفسه أمام خيارين وبعد مشاورات قام بها مع مستشاريه وأعضاء حكومته قرر أولمرت ضرب المفاعل النووي السوري وفي ٦ سبتمبر عام ٢٠٠٧ قامت السلطات الإسرائيلية بتوجيه ضربتها للمفاعل ونفذت العملية خلال دقيقتين وبالرغم من علم إسرائيل أن سورية لن ترد على هذا الهجوم الإسرائيلي إلا أنها قررت بقاء الأمر سراً وعدم إعلان المسؤولية عن قصف المفاعل السوري وأعلنت القوات السورية أن إسرائيل أغارت على موقع عسكري سوري لكن إسرائيل نفت حينها لكن غلطة قام بها أحد الطيارين الإسرائيليين وهي إلقاء صندوق الوقود من طائرته فوق الأراضي التركية أكد للعالم أن إسرائيل هي من قامت بالهجوم حيث احتوى الصندوق على كلمات مكتوبة باللغة العبرية وبهذا نجحت إسرائيل في إيصال رسالة هامة للرئيس السوري بشار الأسد مفادها: لا تلعب معنا، وهو هدف رئيسي أرادت تل أبيب إرساله إلى دمشق صديقة أكبر عدوين لإسرائيل، وهما إيران وحزب الله كما تم ضرب مصنع

الأسمدة فى مصر فى مدينة أبوزعبل مما يؤكد أنها تهدف الى ضرب المقدرات الاقتصادية الى جانب الأهداف العسكرية .

سرقة المياه العربية: فى ظل الأزمة الاقتصادية العالمية الراهنة يسيطر على العالم العرب، فدوله لا تمتلك مصادر مياه كافية تسد حاجتها ليس لديها مقومات الحياة، ومهددة بالفقر والجوع الذي بات يطرق الأبواب، ولذلك ينبغي إدراك أن العالم بأسره يعاني تناقص موارد المياه، وعليها تتوقف كفاية الإنتاج الزراعي الغذائي، الذي أصبح على ندرته باهظ الثمن، فارتفاع أسعار المواد الغذائية في ازدياد، ومن الصعب تحت هذا الواقع إصلاح الحال، ولا بد من الاعتراف بالمشكلة ومواجهتها بصرامة لنستطيع العيش بأمان وتستمر الحياة، وإلا فالهلاك جوعاً لثلث العالم قادم لا محالة، وقد أدرك أعداؤنا مصدر قوتنا، فبعد حصار العراق أربعة عشر عاماً لو فرض مثله أربعة عشر شهراً على أمريكا أو أي بلد أوروبي صناعي لما أسعفته الحياة، ولذلك يعد الماء من ركائز الأمن القومي للأمم، وطبقاً لإحصائيات البحوث نحن اليوم في خطر داهم، مهما قيل أماننا مفتاح النجاة وبأحضاننا سلة الغذاء أينما اتجهنا السودان واليمن وسوريا والعراق فالأرض والمياه أهم من الطاقة التي يفترض أن توضع في خدمة الأرض والمياه، وبدونها لا يكون الثمر، وبعد القرن العشرين صرنا بفعل تقاعسنا نشاطر العالم الخوف على أجيالنا من مخاطر الفقر والجوع ولتنشيط الذاكرة نستعرض حقائق الواقع فنؤكد

بقوة أن النيل ودجلة والفرات ونهر الأردن واليرموك وبردى والعاصي والليطاني والحاصباني لم تعد بمأمن من النضوب والجفاف، أمام متغيرات العالم الجديد، وسرقات دول الجوار وإسرائيل ومحاولة استئثارهم بالمياه سرّاً وجهرّاً فلقد لمسنا آثار بناء سدود عملاقة في تركيا مثل سد أتاتورك في انخفاض منسوب مياه الفرات، فماذا لو شرعت تركيا في بناء اثنين وعشرين سداً مخططاً لها أن تستنزف مياه الفراتين وتجويع العراقيين؟ وتتورط إيران بقذف المياه الملوثة في شط العرب لزيادة ملوحة مياهه وقطع بعض الأنهار عنه، والهدف مسح الأراضي الزراعية، بذات الطريقة وعلى ذات الخطى تحرض إسرائيل أثيوبيا لبناء سدود على النيل وإعادة تقسيم مياهه مجدداً خارج الاتفاقيات القديمة، وجنوب السودان سيتحكم بمنابع مياه النيل الأزرق والأبيض، أليس كل ما حدث في حيز هذا الصراع هدفه تصحير الأراضي العربية وتجويع أهلها بفعل فاعل ألم تسرق إسرائيل أكثر من ٥٠% من مياه أنهار فلسطين والأردن وسوريا ولبنان بالإضافة إلى مياه بحيرة طبرية والمياه الجوفية في الأراضي المحتلة وما حولها، فنهر الأردن الذي ترفده أنهار بانياس واليرموك من سوريا، والدان من فلسطين، والحاصباني من لبنان، كانت حصة إسرائيل منه ٢٠% ثم تضاعفت بالزحف والاحتلال فأصبحت ٤٥% وتتزايد بعد كل تقدم لها في الأراضي العربية، بينما تقاسم أربعة دول عربية سكانها خمسة

أضعاف سكان إسرائيل نصف المياه المتبقي، ألم تقصف إسرائيل سد خالد بن الوليد في ابريل ١٩٦٧، قبل أن يمر عام على قيام الدول العربية بإنجاز بنائه، وما الذي فعله العرب؟ لا شيء ويعد نهر الليطاني أهم أنهار لبنان وكان حلم إسرائيل أن يكون على حدودها الشمالية لرى أراضي النقب وجزء من الجليل، وإبان احتلالها للبنان عام ١٩٨٢ شقت نفقاً بطول ١٧ كيلومتراً تحت جسر الخردلي يسحب مياه النهر إلى داخل أراضيها واستولت على ٧٥% من مياهه، واستكملت سيطرتها على الليطاني بتحويل مياهه إلى الجليل، فحققت حلمها التاريخي، وفي كل مرحلة لها رأي وبدعة وقد سبق لها سرقة مياه نهر الوزاني والحاصباني بأنابيب ضخمة تحت الأرض، ولتبرير فعلتها تقول إن حرب المياه أصبحت أهم من حرب النفط، وليس بمستغرب أن تستحوذ إسرائيل على جزء من مياه النيل والفرات بثمن بخس من أثيوبيا وتركيا على حساب دول المصب، ألا نسأل أنفسنا دويلة لقيطة كإسرائيل أفرادها عدة أنفار تحارب على عدة جبهات وتكافح في كل الميادين لتضمن مستقبل لقطنها، وأهل الأرض الأصليين يتفرجون وينتظرون يوم يحل الجوع بهم ليستعطفوا ويستجدوا أعداءهم.

الفصل الثانى: تدمير القوة العسكرية العربية

تفريق العرب: إن الموقف العسكري في المنطقة العربية يتميز بوجود قدر كبير من الارتباك وعدم التوازن الذي يمكن أن يؤدي إلى فوضى اقليمية تؤثر على الاستقرار فى المنطقة بوجه عام وعلى الأمن العربي بوجه خاص فالولايات المتحدة الأمريكية أمدت وتمد إسرائيل بأحدث الأسلحة وبالحجم الذي يضمن لها التفوق الكمي والنوعي والتكنولوجي، بل عقدت معها شراكة استراتيجية رغم أن تهديد إسرائيل للأمة العربية يمثل تهديداً للبترول بالمنطقة وبالتالي تهديداً للمصالح الأمريكية والغربية الحيوية إلى جانب امتلاك إسرائيل لقدرات نووية ضخمة تغض الولايات المتحدة الطرف عنها كما أن الهند وباكستان المتاخمتين للمنطقة أصبحتا قوتين نوويتين وبينهما عداء تقليدي ومشاكل كثيرة أهمها مشكلة كشمير وأي صدام بينهما سيؤثر على استقرار المنطقة بصورة ملموسة وإيران في طريقها لأن تصبح قوة نووية إلى جانب تهديدها لمنطقة الخليج العربي ورفضها إعادة الجزر الثلاث الإماراتية التي احتلتها بالقوة بدون وجه حق وترفض أي حل سلمي للقضية .

نعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية رغم ارتباط مصالحها الحيوية بالعالم العربي تحرص منذ فترات طويلة على وضع المنطقة العربية في قالب محدد لا يسمح بالاستغلال الكامل لقدراتها وطاقاتها بالشكل الذي

يجعلها قوة مؤثرة على الصعيد الدولي قادرة على ردع التهديدات التي تتعرض لها ولا يغيب عن أحد أن الأمة العربية لديها كل المقومات لتفعل ذلك إلا أن القوى الكبرى عملت على حرمانها من استغلال هذه المقومات على مر التاريخ، ولعل أكبر الأمثلة على ذلك التقرير الذي عرف باسم تقرير كامبل رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٠٧ بناء على دراسة قامت بها الدول الخمس الكبرى آنذاك حول المشاكل التي ترى أنها تهدد مصالحها الاستعمارية ومن أبرز ما تضمنه هذا التقرير الإشارة إلى ضرورة العمل على منع قيام أي نوع من الوحدة بين الدول العربية حتى لا تكون حاجزاً ضد وصول المواد الخام من مصادر إنتاجها إلى المراكز الصناعية الأوروبية واقترح التقرير ضرورة تفتيت الأمة العربية وزرع جسم غريب يفصل نصفها الآسيوي عن نصفها الأفريقي فكانت إسرائيل كما يعرف الجميع ذلك ومثال آخر هو أن الولايات المتحدة تفضل التعامل مع كل دولة عربية على حدة وتعمل على عدم اتحاد الدول العربية بأي صورة من الصور والتعامل مع كل دولة على حدة أسهل للولايات المتحدة في تحقيق ما تريده بالمنطقة وإذا استعرضنا خريطة الأمة العربية نجد ما يلي:

مواجهة عربية إسرائيلية ستستمر طويلاً رغم عقد سلام مع مصر والأردن، ومحاولات متكررة لاجتثاث حل سلمي بين إسرائيل والفلسطينيين وبين سوريا وإسرائيل وما نشاهده الآن هو تعنت إسرائيلي وتراجع عما

سبق الاتفاق عليه ومحاولات متكررة للقضاء على الانتفاضة والوسيط الأمريكي منحاز تماماً لإسرائيل ولا يقوم بضغط إلا على السلطة الفلسطينية، بل لقد حول القضية إلى وقف إطلاق نيران لأنه اكتشف أن الانتفاضة أحدثت آثاراً بالغة الخطورة داخل المجتمع الإسرائيلي، ومازالت الجولان ومزارع شبعاء اللبنانية محتلتين وتقوم إسرائيل من وقت لآخر بتوجيه ضربة جوية للقوات السورية الموجودة في لبنان. مواجهة عربية إيرانية رغم أنها لم تصل إلى درجة السخونة إلا أنها تهديد حقيقي لأمن الخليج وهو جزء من الأمن العربي، مع إصرار إيران على احتلال الجزر الإماراتية والعراق محتل والسودان مقسم ودول الربيع العربي الوضع بها غير مستقر وكل هذا ناتج عن السياسة الغربية القدرة تجاه أمتنا وهي فرق تسد .

تدمير الجيوش العربية: لدينا ثلاثة جيوش عربية كانت تخشاها إسرائيل، اثنان منها تعرضا للتدمير وهذه هي أمنية إسرائيل، فهل يمكن أن تتولى أطراف محلية داخل مصر تنفيذ المهمة نيابة عن الكيان الصهيوني؟ للأسف نعم، حتى لو كان الأمر يتم بحسن نية.

- فالجيش العراقي فككه بول بريمر بعد الغزو الأمريكي في مارس ٢٠٠٣ .

- والجيش السوري تعرض، ويتعرض للتدمير بسبب عناد نظام بشار الأسد واستبداده وطائفية.

- وبداية من مارس ٢٠١١ وبعد نجاح سقوط حسنى مبارك بأقل من شهرين بدأ التنشيين على الجيش لإنهاكه وإسقاطه والمجلس الأعلى للقوات المسلحة الذى كان يدير شئون البلاد ارتكب أخطاء كارثية سياسيا، لكن أطرافاً كثيرة ومنها الإخوان المسلمين استفادوا من معركة تكسير النظام بين الجيش والقوى المدنية، حيث تفرغوا للدعاية الانتخابية وتركوا الجانبين يستنزفان بعضهما الآخر فعندما اشتعلت المعركة بشأن المواد المتعلقة بالجيش فى الدستور اعتبرها الإسلاميون خصوصا الإخوان خطأ أحمر وأحبطوا وثيقة السلمى التى كانت تجعل من الجيش ضامناً لعدم تغول قوة على أخرى .

ولقد نفذت الدول العربية الخطط الغربية بطريقة عفوية ونموذجية فى نفس الوقت، ولم يكن المخطط الغربى الذى وضع خطته وأهدافه، أن ينفذ بهذا الشكل المتقن، خاصة فى تدمير القوى العربية والإسلامية، التى من الممكن أن تهدد الامن الاسرائيلى.

إن الخطط الغربية التى وضعت وبالأخص الأمريكية، للقضاء على القوة والجيوش العربية بعد أكتوبر عام ٧٣، عندما قطعت الدول العربية البترول عن الدول المساندة لإسرائيل، تم وضع خطط للسيطرة على منابع البترول فى المنطقة وتأمينها والقضاء على قوة العرب، وكانت البداية فى أغسطس عام ١٩٩٠ عندما تم الإيعاز لصدام حسين باحتلال الكويت عن طريق السفارة الأمريكية فى بغداد وقتها وكانت تلك الخطوة

الاولى لبناء قواعد عسكرية والسيطرة على دول الخليج تحت حجة الدفاع المشترك ولم تتوقف الخطط عند هذا الحد ولكنها استمرت أكثر من ١٢ عاماً إلى أن تم الاعلان عن الدخول فى حرب أمريكية لتحرير الكويت كما ادعت الولايات المتحدة وقتها، وتم تعيين بول بريمر كأول حاكم أمريكى للعراق واتخذ قراره الشيطانى بحل الجيش العراقي، والانتهاه من جيش كان من أهم جيوش المنطقة وبعد ذلك بسنوات ومع وضع خطط جديدة دخلت ليبيا من خلال ثورتها فى اقتتال داخلى وكان جيشها طرفاً فى هذا الصراع، مما أدى إلى تمزيقه وشرذمته والقضاء عليه، وأتى من بعده الجيش السورى الذى دخل هو الآخر فى صراع مسلح وأخذ فى سفك دماء أبناء وطنه وأصبح مستقبلاً غير قادر على حماية بلاده وخرج عن مساره الوطنى، لذا فانه بنهاية بشار ينتهى الجيش العربى السورى.

لم يبق أمام الغرب سوى قوة واحدة وهى الجيش المصرى، ولا يمكن أن ننسى المحاولات المستميتة خلال المرحلة الانتقالية للثورة فى محاولة جر الجيش المصرى إلى صراع مع الشعب ليكون سيناريو سوريا مكرراً إلا أن قياده وقتها استطاعت إدارة الازمة بمنتهى الدقة والحرص حتى لا ينجرف الجيش للهاوية.

الحفاظ على التفوق الصهيونى فى الأسلحة: يخطئ من يظن أن الحديث عن التطبيع بين مصر وإسرائيل يمكن أن يكون سبباً فى عدم إمكانية

قيام حرب جديدة بين البلدين في أي لحظة والدليل علي ذلك أن إسرائيل تؤكد دائماً أن تخوفها الأكبر كان ولا يزال من مصر وتحاول التأكيد علي ذلك للولايات المتحدة لتحقيق المزيد من المكاسب والامتيازات عن طريق محاولة الإيحاء بأنها في موضع الضحية دائماً ولذلك فإن الخبراء يرون أن التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل يحتم أن تضمن الأولي التفوق العسكري النوعي للثانية.

ولأجل ذلك، تعرض الإدارة الأمريكية علي حليفتها الصغري قوائم طلبات مشتريات الأسلحة التي ترد إليها من الدول العربية الحليفة للغرب، فتحذف إسرائيل منها ما تشاء وهي الحقيقة المؤكدة التي كشفت عنها وثائق ويكيليكس التي أزاحت الستار عن الكثير من الخفايا والأسرار في هذا المجال فقد كشفت وثيقة تحمل رقم ٦٠ ووردت من واشنطن إلي تل أبيب من السفير ريتشارد جونز حول متابعة اجتماع المجموعة السياسية العسكرية الأمريكية الإسرائيلية لبحث الرد الإسرائيلي علي مبيعات الدفاع الأمريكية المقترحة للمنطقة وكشف الاجتماع أن الرد الإسرائيلي تناول أحد بنود العمل المتفق عليها بين المندوبين الأمريكيين والإسرائيليين في المجموعة السياسية العسكرية المشتركة وكشف موقع ويكيليكس أن الورقة غير الرسمية الإسرائيلية مصنفة سرية - يمكن للطرف الأمريكي الاطلاع عليها، يمكن أن تقسم إلي جزئين:

القسم الأول يضع المبادئ الإسرائيلية المرتبطة بمبيعات الدفاع للمنطقة، وكيف تعرّف إسرائيل التفوق النوعي العسكري وأقرّ ممثل إسرائيلي في الاجتماع يونجمان بأنه ليس هناك سوي القليل جداً من الجديد في هذا الجزء مقارنة بورقة غير رسمية أعطيت للولايات المتحدة في ٢٠٠٤ وأشار أيضاً إلي أن الجزء الأول يكشف تشابه قوي بين النظريتين الأمريكية والإسرائيلية أما الجزء الثاني فيتضمن الرد الإسرائيلي علي مبيعات الدفاع الأمريكية للمنطقة، بنداً بنداً وشدد يونجمان علي أن إسرائيل تقدر قيمة إفساح المجال أمامها لمناقشة مبيعات الدفاع الأمريكية المقترحة إلي المنطقة مع الولايات المتحدة وأكد ممثل إسرائيل أن الالتزام طويل المدي للولايات المتحدة بالمحافظة علي التفوق النوعي الإسرائيلي مقدّر إلي حد كبير.

في القسم الأول من هذا الرد- والكلام لمندوب إسرائيل - نود تكرار العديد من المبادئ الجوهرية، التي تمثّل أسس موقفنا من الكيفية الفضلي للمحافظة علي التفوق العسكري النوعي الإسرائيلي وفي الجزء الثاني، سنقدم إشارات محددة إلي عمليات النقل المقترحة لمنظومات الأسلحة المحددة لمختلف الدول العربية وقال ممثل إسرائيل: في ضوء عدم التناسق الاستراتيجي الرئيسي الموجود بين إسرائيل والدول العربية المجاورة لها، فإن المحافظة علي تفوقنا النوعي ركيزة أساسية لاستراتيجية الأمن القومي الإسرائيلي وقدرة الردع وإسرائيل قلقة علي

نحو متزايد من تضيق الفجوة النوعية مع خصومها المحتملين بسبب التأثير التراكمي لدمج أنظمة الأسلحة هذه مع التكنولوجيا وذلك يعزز بصورة ملحوظة القدرات العملاقة الجوية والبحرية خصوصاً للقوات المسلحة العربية، واحتمالات تحديها لقدرات وأنظمة الدفاع الإسرائيلية الأساسية، التي بدورها يمكن في المدى الطويل أن تؤثر علي نياتهم إضافة إلي ذلك، نحن قلقون من أن بعض هذه القدرات ربما، وتحت ظروف محددة، تقع في أيدي عناصر إرهابية

وفيما يتعلق بمفهوم التفوق العسكري النوعي، فإن إسرائيل تحيل ذلك علي قدرتها علي المحافظة علي تقدم عسكري معقول يؤمن الردع لذا يجب ألا تُمنح مصر أنظمة يمكن أن تعطيها ميزة في ساحة المعركة، في وقت تُشغل فيه إسرائيل باحتواء التهديدات الأخرى وفي نفس الوثيقة أعلنت إسرائيل معارضتها القوية لصفقة أمريكية مصرية تحصل بموجبها القوات المسلحة المصرية علي صواريخ مضادة للإشعاعات وتطلب إسرائيل من الولايات المتحدة عدم الموافقة علي تزويد الجيش المصري بهذا النظام تحت أي ظروف، حتي لو وقعت مصر اتفاقية تضمن بموجبها هذه النظم وكيفية استخدامها فهذه الذخائر الهجومية تمثل تهديداً رئيسياً للتفوق النوعي الإسرائيلي، وهي موجهة ضد القدرات الإسرائيلية كذلك اعترضت إسرائيل علي تزويد مصر بصواريخ جو - جو وبصواريخ مضادة للطائرات تُطلق من الكتف، إضافة

إلى صواريخ مضادة للدروع من نوع تاو ٢ بي، فضلاً عن جيل جديد من طائرات الأباتشي وبالنسبة إلى أي صفقات مستقبلية لحصول مصر على صواريخ باتريوت متطورة، فإن الجانب الإسرائيلي طلب ضمان عدم نشرها في شبه جزيرة سيناء، لأن ذلك سيعدّ خرقاً للاتفاقية الأمنية الملحقة بمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل.

واستكمالاً لمسلسل التخوفات الإسرائيلية من الجيش المصري حتي بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير فقد أعلنت إسرائيل نشرها أجهزة استشعار بطول الحدود المصرية، لمراقبة الحدود، ورصد ما يحدث في سيناء، علي عمق ثلاثة كيلومترات داخل الأراضي المصرية وذكرت صحيفة ידיعوت أحرونوت، أن المخابرات الإسرائيلية سيكون بوسعها معرفة ما يحدث في عمق الأراضي المصرية، من خلال مئات أجهزة الاستشعار والمراقبة والتتبع، التي يبدأ نشرها خلال ثلاثة أشهر، علي نحو ٢٢٠ كيلومترا من الحدود الإسرائيلية - المصرية المشتركة، علي يد سلاح الاستطلاع الحربي.

التخلص من القادة العرب البارزين: ففي ١٣ يونيو عام ٢٠٠٣ أعلنت المصادر الإسرائيلية أن أحمد ياسين لا يتمتع بحصانة وأنه عرضة لأي عمل عسكري إسرائيلي فتعرض في ٦ سبتمبر عام ٢٠٠٣ لمحاولة اغتيال صهيونية حيث استهدفت مروحيات صهيونية شقة في حي الدرج

شمال مدينة غزة كان يوجد بها أحمد ياسين وكان يرافقه إسماعيل هنية بقتيلة ولكن سقطت القذيفة بعد لحظات من مغادرة ياسين وإسماعيل هنية المنزل وخرج أحمد ياسين منها سالماً رغم الدمار الهائل الذي لحق بالبيت وقد خرج ياسين من هذه المحاولة أيضاً أشد إصراراً على مواصلة مسيرة الجهاد وفي يوم الاثنين غرة صفر ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٢ مارس عام ٢٠٠٤ قامت الطائرات الصهيونية بإطلاق عدة صواريخ استهدفت أحمد ياسين بينما كان عائداً من أداء صلاة الفجر في مسجد المجمع القريب من منزله في حي صبرا في غزة في عملية أشرف عليها رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون حيث قامت مروحيات أباتشي إسرائيلية تابعة لإسرائيل بإطلاق ٣ صواريخ تجاه أحمد ياسين المقعد وهو في طريقه إلى سيارته فسقط ياسين شهيداً في لحظتها وجرح اثنان من أبنائه في العملية واستشهد معه سبعة من مرافقيه.

وقتل أيضاً عبد العزيز الرنتيسي حيث قتلته مروحيات الأباتشي الأمريكية بإطلاق صاروخ على سيارته وقتل الرنتيسي بعد قتل الشيخ أحمد ياسين بفترة وجيزة وبعد عودة شارون من أمريكا مباشرة، يؤكد أن إسرائيل بقيادة السفاح شارون مصرة على الاجهاز على القضية الفلسطينية، كما يؤكد أيضاً أن إدارة بوش تدعم هذا المنهج وتبارك إرهاب الدولة الإسرائيلي وتعطي الضوء الأخضر لقتل القادة الفلسطينيين

وتبرر ذلك بحجة الدفاع عن النفس، وبذا تصبح شريكاً كاملاً في هذه الجريمة البشعة وكما تم التخلص من أحمد ياسين تخلصوا من ياسر عرفات فقد اتخذ مجلس الأمن القومي الإسرائيلي، قراراً بتصفية ياسر عرفات وعبر عن ذلك ثلاثة من قادة إسرائيل بداية من رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق أرييل شارون، وكذلك نائبه شاول موفاز الذي قال: نحن نعتبر عرفات مسؤولاً يداه ملطختان بالدم، وقد قررنا معاملته كمجرم حرب وتصفيته وكذلك وزير الجيش الإسرائيلي آنذاك أيهود باراك وشارون قال للرئيس الأمريكي جورج بوش عن ياسر عرفات المقاطعة هي حياته -أي عرفات- ولن يخرج منها وهي سجنه، وهي قبره كما أن التحليلات التي أجريت على جسده بعد استخراجه من قبره أثبتت وفاته بنوع خطير من الإشعاع يقول عنه تيسير التميمي الذي لحق بعرفات في باريس، بعدما دخل في غيبوبة للقيام بالواجبات الدينية من غسل جسده وتكفينه، كان عرفات في العناية المكثفة في حالة صعبة للغاية وينزف الدم من وجهه وأجزاء كثيرة من جسده نتيجة التميع الشديد الذي أصاب دمه وكما عرفت من الأطباء أن السم خطير، يحدث تمييعاً بالدم وفي العراق نفذ حكم الإعدام في الرئيس العراقي السابق صدام حسين بعد ادانته بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وانتهت بذلك مرحلة من تاريخ العراق في العاشر من ذي الحجة الموافق ٣٠-١٢-٢٠٠٦ وقد جرى ذلك بتسليمه للحكومة العراقية من قبل حرسه الأمريكي

تلافياً لجدل قانوني في أمريكا التي أعتبرته أسير حرب وكانت الحكومة العراقية تعمدت بالاتفاق مع مراجعها الشيعية على تغيير توقيت يوم عيد الأضحى إلى يوم الأحد مخالفة لإجماع أمة الإسلام على هذا اليوم، وقد استنكر المراقبون من جميع الاتجاهات والانتماءات السياسية هذا الاستعجال المستغرب لتنفيذ حكم الإعدام وذلك ليس لجرائم الحرب ضد الإنسانية وإنما لاعتبارات كثيرة منها ضلوع صدام في محاولة اغتيال بوش الأب في الكويت قبل ذلك والأهم لوقوفه ضد السياسات الأمريكية وضربه للدولار حيث قرر عدم بيع البترول العراقي إلا باليورو وقد صرح الرئيس الأمريكي جورج بوش أن تنفيذ حكم الإعدام في الرئيس صدام حسين يشكل مرحلة مهمة على طريق إحلال الديمقراطية في العراق وقال في بيان من مزرعته في كروفورد في ولاية تكساس إن إعدام صدام حسين يشكل نهاية سنة صعبة للشعب العراقي ولقواتنا وأن تنفيذ حكم الإعدام في الرئيس العراقي المخلوع لن ينهي العنف في العراق لكنه يشكل مرحلة مهمة على طريق العراق باتجاه ديمقراطية يمكن أن تحكم نفسها بنفسها وتتمتع باكتفاء ذاتي وتدافع عن نفسها وتكون حليفة في الحرب على الإرهاب وهذا هو ما يريدون، يقضون على الزعامات العربية حتى لا تجد الشعوب من يقودها إلا طغمة قذرة تنفذ ما يملأ عليها لصالح الغرب الكافر المقيت وليس أدل على ذلك من سعى خلفه إلى تقديم مبررات لقوى الامبريالية لاستمرار تواجدها في

بلاده والغريب ليس فى الإعدام وإنما فى كذب بعض الرؤساء خاصة المخلوع مبارك الذى أقسم أنه لا يعلم شيئاً عن موعد إعدام صدام ثم بعدها بيومين قال وقد نسى كذبه لقد قلت لهم منذ أكثر من شهر ابتعدوا عن يوم العيد .

وهناك الكثير من القادة الذين أخلصوا لقضاياهم فتخلصت منهم الامبريالية العالمية ولكن لا نريد ان نتطرق فى هذه الجزئية لأكثر من ذلك ويكفى التمثيل فقط لضيق المقام وحتى لا نخرج عن الموضوع الأسمى .

صناعة الحروب الأهلية: إن أكثر عوامل هدم الأمم أثراً القضاء على قواها العسكرية ومن الطرق الخبيثة التى تنفذها الامبريالية العالمية فى إنهاك الجيوش إيقاعها فى حروب أهلية تصنعها وترعاها وتقدم لها الوقود لاستمرارها حتى تنفيذ مآربها ثم تتدخل لاطفاء النيران وربما بشروط لصالح الطرف الذى يعينها وغالباً ما يكون هذا الطرف هو من يسعى ضد الصالح الوطنى وتجري الآن على أرض الواقع محاولة لتوريث الجيش المصرى فى حرب أهلية فالمؤامرة الإمبريالية الدائرة الآن لا تستهدف المسلمين فقط، وإنما الأهم هو توريث الجيوش فى الصراعات السياسية واستدراجها للنزول إلى الشارع، فى دائرة العنف والقتل لتفكيكه والقضاء عليه وهذا ما فشلوا فيه فى مصر فالجيش المصرى هو الجيش العربى الوحيد الذى لازال بقوته فى دول المواجهة

مع الكيان الصهيوني والحقيقة أنه لا يوجد انقسام كما يحاول الاعلام العميل تصويره فنحن أمام أقلية سياسية ترفض معظمها صندوق الانتخابات، وترفض الاحتكام لإرادة الشعب وتشعل العنف وتبرر القتل لإعطاء انطباع بأن مصر في حالة فوضى لاستدعاء الجيش والانقلاب على الشرعية والعنف الذي نشاهده مفتعل ومأجور، تقف خلفه عناصر تنتمي للنظام السابق، وتحريض الجيش للنزول إلى الشارع من ذات القوى السياسية التي كانت تطالب بالأمس بإبعاد الجيش عن السلطة يؤكد وجود مخطط إمبريالي يتم تدريسه لكثير من مجموعات الشباب المنتمي لأحزاب وحركات مصرية، على أنه نظريات جديدة للخلاص من الديكتاتورية ويهدف إلى إبعاد العسكريين والأحزاب الأيديولوجية (المسلمين) عن السلطة بزعم أنهم يدعمون الديكتاتورية.

وإذا كان الجيش المصري قد نجا من المحرقة التي كانوا يتمنون، بتفكيك المجلس العسكري القديم، فإن مؤامرة الانقلاب الجارية لإسقاط الرئيس محمد مرسي تهدف إلى استدعاء الجيش مرة أخرى للنزول إلى الشارع، لتوريثه هذه المره في صراع مع الإسلاميين، للخلاص من الإثنين معاً فالجيش عندما نزل الشارع في ثورة يناير كان مع الشرعية، حيث سقطت شرعية الرئيس المسجون حالياً حسني مبارك، ورغم ذلك تحملت المؤسسة العسكرية الكثير من الاستنزاف، وفقدت بعض هيبتها، ووجدت نفسها في خصومة بدرجات متفاوتة مع أطراف عديدة، وأنقذ

الجيش نفسه بتسليم السلطة للرئيس محمد مرسي بعد انتخابات وصلنا إليها بعد سلسلة من الصدمات والمليونيّات وهذه المرة فإن الشرعية مع الرئيس المنتخب، ونزول الجيش إلى الشارع كما يتمنى أصحاب مؤامرة الانقلاب سيكون ضد الشرعية، وسيكون في مواجهة مع التيار الإسلامي بكل قطاعاته، وهنا سيكون الوطن كله في حالة حرب ستأكل الجميع.

فما يحدث بالغ التعقيد، ولكن أخطر ما يحكيه أعداء الوطن هو استخدام العنف في بيئة يسيطر عليها إعلام محرض يخدم المؤامرة، يعمل على تغليب الصدام والتحريض على القتل كوسيلة لحسم الخلاف السياسي هذا المناخ المرتبك قد تستغله جهات تابعة للموساد وأمريكا لتوجيه ضربات في كل الاتجاهات حتى يشك الأخ في أخيه ويدب الخراب وتشتعل النيران.

تفكيك الحواضر العربية: من يقف على هضبة المشهد العربي يستطيع أن يقرأ تضاريس التدهور في حواضر عربية ظلت بالفعل هي بقايا تشكيل مظاهر الحضارة العربية الإسلامية ويبدو أن الخط الممنهج في تحقيق هدف التفكيك لم يكن ابن اللحظة، بل تم بتخطيط كافر في مطابخ سياسية عالمية ظلت تتسم بالخبث والدهاء عبر التاريخ الإنساني والحواضر الثلاث العربية التي بدأت تتقوض أمامنا بالفعل، والحواضر هي بالترتيب مصر والثانية هي العراق التي تعرضت إلى غزو أمريكي عام ٢٠٠٣، بمساندة دولية تدعو للشبهة بالفعل تحت حجة أسلحة

الدمار الشامل التي تهدد المنطقة برمتها، حيث تم تحويل العراق برمته إلى كانتونات طائفية، بعد أن تم تفكيك وتسريح الجيش العراقي، ودخول العراق في المراهنات القائمة على التقسيم، والسماح لإيران بالتمدد داخل العراق، وتحويل دولة العراق، التي تعتبر من أغنى دول العالم، إلى دولة مدينة بتكلفة التحرير، وتكلفة إعادة إنشاء البنية التحتية، والافتقار حتى إلى الكهرباء أما الثالثة فهي دمشق التي نهضت بالخلافة الأموية، وقامت بتكثيف الشعور العربي، وعملت على أن تكون مرجعاً للفقه العربي، وتحويلها على يد النظام إلى قوة قاهرة تقوم بتقويض الدولة السورية، واقتيادها إلى فكرة الدولة الطائفية الرخوة وحمى التقسيم وهنا يمكن أن نفهم كيف أن الخطة كانت تقتضي في مصر أن يخلف الرئيس الراحل أنور السادات كي يباغت الأمة العربية والإسلامية بزيارته للقدس وتوقيع معاهدة كامب ديفيد، والنأي بدور مصر عن مواجهة الكيان الصهيوني، وتسليم دولة مصر إلى الرئيس حسني مبارك بعد اغتيال السادات، وتحويل دور مصر التاريخي إلى نهج سياسي دون طعم أو لون أو رائحة، ومن ثم قيام ثورة ٢٥ يناير التي أطاحت بمرموز ثورة ٢٣ يوليو، وقامت بتنصيب الإسلاميين على سدة الحكم ومن هنا أيضاً يمكن لنا أن نفهم كيف تم التفرير بصدام حسين حين أوجت له السفارة الأمريكية بأن الولايات المتحدة لن تعارض احتلاله الكويت، وكان ما كان من تداعيات احتلال الكويت وغزو بغداد لاحقاً ومن هنا

أيضاً يمكن فهم حالة الدم اليومي المتدفق في سورية، والتي تعمل على
تحديد الدور العربي السوري وحاضرتة دمشق والحال أننا نتطلع إلى
انقراض ثلاث حواضر عربية أمامنا دون أن نقدر على فعل أي شيء،
وتلك هي الكارثة .

الفصل الرابع: الدعم المادى والقوى الناعمة

عرفت المجتمعات الإنسانية والنظم السياسية والاجتماعية القديمة أشكال من المساعدات والتعاون اتخذت أشكالاً متعددة ؛ بعضها عيني مثل المحاصيل الزراعية أو قطع المواشي أو التعاون العسكري وبعضها الآخر مالى ونقدي وهذه الأشكال من المساعدات والتعاون بين القبائل أو الجماعات والدول كان في إطار التعاون المتبادل ؛ والمصالح المشتركة فيما بينها ؛ ولم تغب عنها على أية حال نزعات للسيطرة ؛ ولمحات فرض الشروط والإلتزامات ولكن تغيرت الصورة تغيراً كبيراً منذ مطلع القرن التاسع عشر ؛ وظهور الإمبراطوريات الإستعمارية ؛ وأصبحت أدوات السيطرة المباشرة والاستعمار العسكري والاقتصادي الواضحة والساخرة هي الحاضرة في مسرح العلاقات الدولية ومع موجة التحرر التي اجتاحت دول المستعمرات القديمة في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ؛ ونجاح معظمها في الحصول على الاستقلال والتحرر بدا أن العالم على وشك صياغة أنماط جديدة وابتكار وسائل جديدة للعلاقات السياسية والإقتصادية الدولية اعتمدت على صياغات لم تكن شعوب وقادة العالم الثالث على دراية كافية بأبعادها وصياغاتها القانونية ؛ ومن أبرز هذه الأدوات:

- المعونات الإقتصادية والفنية.

- أنماط غير متكافئة للتبادل التجاري والمالي الدولي.

- منظمات حقوق الإنسان ومنظمات المجتمع المدني.

وابتكر العقل القانوني والسياسي الغربي الأوروبي والأمريكي تحديداً صيغ شديدة الذكاء والخبث ؛ بدءاً من لغة ومصطلحات (تحرير الإقتصاد - ترشيد الدعم - التعديل الهيكلي - الإصلاح الإقتصادي - الإصلاح المالي - الإصلاح السياسي - إلخ) وغيرها من مصطلحات التفكير في مجال السياسة والإقتصاد وبقدر ما خالت هذه المفاهيم والمصطلحات على مئات الأشخاص ممن يسمون النخب الثقافية والسياسية الجديدة في كل دول العالم الثالث الذين رضعوا الانتولوجيا الثقافية الغربية في مدارس الفكر الرأسمالي الأمريكي ؛ عبر البعثات العلمية والدورات التدريبية وهذا هو السياق السياسي والتاريخي الذي ينبغي من خلاله النظر وفهم دوافع ومصالح الأطراف الداعمة مالياً في إطار لعبة شراء النفوذ الدولية والحصول على موطن قدم قد يكون أداة لما هو أبعد من مجرد مظاهرة الإنسانية الخادعة.

ولأن هذه الأموال في معزل عن الأهداف السياسية للدول المانحة وجمعياتها الأهلية ومؤسسات التمويل المختلفة ؛ فإن تحليل تأثير ونتائج هذه الحركة المالية السياسية تعد من أهم الواجبات الوطنية من أجل رسم سياسات احتواء هذه الآثار الضارة.

ونستطيع أن نشير إلى ثلاثة تداعيات كبرى لهذا التمويل الأجنبي هي

الأول: خلق ركائز اجتماعية وسياسية وثقافية لصالح الدول المانحة.

الثانية: فرض أجندات معينة على حقل العمل العام مثل الجيندار أو النوع أو قضايا غشاء البكارة أو المشردين أو الشواذ. . الخ.

الثالثة: تعزيز أطر سياسية وثقافية محددة مثل الليبرالية في مواجهة الأفكار الأخرى كالاشتراكية أو الإسلامية أو غيرها.

ويروى الأستاذ عبد الخالق فاروق خبير الشئون الاقتصادية قصة حقيقية فيقول وقعت أمام عيني حينما تقدمت إحدى منظمات حقوق الإنسان في مصر بطلب تمويل من مؤسسة فورد فونديشن وكان ذلك أثناء تصاعد عمليات الاستشهاد التي تقوم بها فصائل المقاومة الفلسطينية (فتح - حماس - الجهاد. . الخ) خلال الفترة الأولى من الانتفاضة الفلسطينية الثانية (٢٠٠٠ - ٢٠٠٥) فطلب مندوب فورد فونديشن من هذه الجمعية المصرية لحقوق الإنسان إصدار بيان يدين ما أسماه العمليات الانتحارية التي يقوم بها الفلسطينيون ضد الإسرائيليين فما كان من مسئولي هذه الجمعية المصرية سوى الإصياح وإصدار بيان بأسمها يدين ما أسماه العمليات الانتحارية الفلسطينية التي تصيب المدنيين والأبرياء في إسرائيل وعلى الفور جرى تحويل مبلغ ٥٠ ألف دولار إلى حساب الجمعية وتوالى من بعدها تمويلها بمبالغ إضافية وبخلاف هذا فإن معظم العاملين في حقل المنظمات الحقوقية وما يسمى منظمات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية هم في الأصل من قوى

اليسار ومن النخب الناصرية والقومية ؛ ورويداً رويداً تحول اهتمامهم من قضايا التغيير الاجتماعي والثوري في مصر إلى مجرد الدفاع عن حقوق الإنسان وأجندة الدفاع عن حقوق المرأة وغيرها من هذه القضايا وتحول الأمر من واجب وطني إلى مجرد بيزنس.

مخاطر التمويل الأجنبي: ارتفعت في السنوات الأخيرة، بعض الأصوات المعارضة للتمويل الرسمي والأجنبي للمجتمع المدني على حد سواء لكونه يفقد هذا الأخير استقلاله تجاه الدولة من جهة، وتجاه سياسات الدول المانحة للدعم مثل الاتحاد الأوروبي وأمريكا وبريطانيا غير أن بعض المواقف الأخرى ترى أن الدعم المالي الأجنبي، وبالرغم من بعض الأهداف التي تسعى الجهات الرسمية والمنظمات الأجنبية إلى تحقيقها بواسطته، يمكن التحكم فيه وتوجيهه لخدمة أهداف المجتمعات المحلية؛ سيما وأن هذه المجتمعات تعاني من مشاكل ملحة، يحتاج تجاوزها إلى موارد مالية مهمة لا تتوفر لأغلب الدول النامية فماهي مخاطر هذا التمويل؟ وللإجابة يمكن حصر مخاطر هذا التمويل في:

- ١ - ضعف استقلال منظمات المجتمع المدني
- ٢ - استغلال الدول الغربية للمجتمع المدني لتحقيق أهدافه السياسية والأمنية داخل الدول العربية
- ٣ - هدم روح التطوع التي شكلت عبر التاريخ أساس التنظيمات الاجتماعية التي عرفتھا المنطقة العربية.

فلاشك أن أهم مؤشرات سمات المجتمع المدني هو استقلاله المالي عن كل شكل من أشكال السلطة السياسية والاقتصادية داخلية كانت أو خارجية وأي استفادة له من التمويل كيفما كان حجمه ومصدره يسيء إلى استقلاله فأينما يوجد تمويل رسمي أو أجنبي توجد شروط يفرضها الممولون وأهداف غير معلنة يسعون إلى تحقيقها وغالباً ما نجد منظمات المجتمع المدني في بعض الدول العربية تخضع لتلك الشروط بغية الحصول على موارد مالية لأنشطتها كما أنها أصبحت تفضل القيام بالأنشطة التي تمويلها الجهات الرسمية أو الأجنبية في مجالات مثل حقوق المرأة، ومشاكل الهجرة، والإرهاب، والشباب،... بدل القيام بأنشطة تستهدف الاستجابة للحاجات المحلية لهذه البلدان وهو ما يجعل هذه الجمعيات مجرد آليات لتنفيذ المخططات الإستراتيجية للأجهزة الحكومية والدول الغربية وبالتالي لم يعد المجتمع المدني سلطة مستقلة تقف بين الفرد والدولة للحد من تعسف السلطات العمومية وحثها على الاستجابة لحاجات المواطنين.

ومن الناحية السياسية والأمنية، تستغل الدول الأجنبية إمكانياتها المالية لتحقيق أهداف سياسية، وثقافية داخل الدول النامية بشكل عام ولف مختلف تنظيمات المجتمع المدني حول استراتيجيات تلك الدول فمثلاً: بعد الشراكة المبرمة بين المغرب والاتحاد الأوروبي، تكونت بالمغرب الشبكة الأورو متوسطية التي تضم أكثر من ٢٠ منظمة مدنية

لحث المغرب على تنفيذ التزاماته مع الاتحاد الأوروبي علماً أن بنود هذه الاتفاقية، رغم إشارات حقوق الإنسان التي تتضمنها، تهدف فقط لتنفيذ الإستراتيجية الوقائية للاتحاد الأوروبي في مجال الهجرة وهي الإستراتيجية المخالفة طبعاً للتصور الحقوقي والديمقراطي لمسألة الهجرة القائم على حرية تنقل الأفراد لهذا لا يعقل أن تنقاد تلك الهيئات مع تصور الاتحاد الأوروبي بشكل عام وهو ما يبين أحد أهم أشكال استغلال الدول الأوروبية للمجتمع المدني العربي لتنفيذ مخططاته الإستراتيجية في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالإضافة إلى ذلك، يعتبر التمويل الدولي آلية للتجسس وتتبع مواقف المؤثرين داخل الدول من سياسات الدول الأوروبية ذلك أن أهداف الممولين الأجانب وإن كانت تتشابه مع أهداف المنظمات المحلية، كما تقول المنظمات المستفيدة من التمويل الأجنبي، تنطوي على مخاطر إستراتيجية كبيرة من أهمها استغلال الممولين الأجانب للأنشطة التي تمولها من أجل تتبع تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للدول واستغلالها اقتصادياً وسياسياً وبشكل يضر بمصلحة الدول التي تستفيد منظماتها من التمويل الخارجي لهذا أصبحت العديد من تلك الجمعيات، دون وعي، بعد انخراطها في عمليات التمويل الرسمي أو الأجنبي، تساعد الممولين الأجانب والرسميين في تحقيق أهدافهم بالنيابة وبتكاليف أقل.

أما المخاطر النفسية: فتتجلى في تلاشي قيم التطوع وهدم روح الجماعة التي كانت دعامة المجتمعات العربية وهي نفس القيم التي كانت محركاً لمقاومة الاستعمار أثناء الاحتلال والنضال السياسي من أجل التحرر والديمقراطية وحقوق الإنسان فيما بعد فبعض منظمات المجتمع المدني العربي لم تعد تدمج المواطنين في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان بل في كيفية البحث عن الممولين وطرق وضع المشاريع؛ مما حول المجتمع المدني من قوة إبداعية ومعارضة منتقدة إلى إطار لصرف الأموال الممنوحة.

ويمكن أن نخلص إلى أن التمويل الرسمي أو الأجنبي للمجتمع المدني، يخفي مخاطر كبيرة من الناحية الإستراتيجية وهي المخاطر التي يجب على الجميع طرحها للنقاش ووضع سبل العلاج لتلافيها.

استخدام أسلوب القوة الناعمة: لوحظ أن الذين يستعملون القوة قد لا يستطيعون السيطرة على النتائج، الأمر الذي أدى لظهور مفهوم عجز القوة ومثال ذلك حرب الولايات المتحدة الأمريكية على العراق وعلى الإرهاب فرغم امتلاك الولايات المتحدة مقومات القوة العسكرية والتكنولوجية، فإنها لم تستطع السيطرة على الأوضاع الأمنية في العراق وأفغانستان، مع استمرار الخسائر البشرية في صفوف القوات الأمريكية وفي ظل ذلك التطور، أثبتت أعداد كبيرة من الجنود المسلحين

بأسلحة خفيفة تفوقهم على أعداد أقل من القوات الأمريكية المدربة جيداً، والأكثر تسليحاً، الأمر الذي دفع لتطور مفهوم القوة الناعمة وتعني القدرة على التأثير في سلوك الآخرين من خلال إعادة تشكيل أولوياتهم دون استخدام أدوات إكراه، ولكن من خلال الإقناع والاستقطاب المرتبط بمصادر وقدرات غير ملموسة مثل نشر الأفكار والمعلومات، ودعم قنوات البث الإذاعي والإرسال التليفزيوني، وترويج سلع وخدمات وبرامج معلومات، يكون هدفها دعم المعارضة للنظم القائمة، أو قد تعتمد القوة الناعمة على عدم التدخل، حيث يشير الكثير من المحللين إلى القوة الناعمة الصينية التي تستمد قوتها من مبدأ عدم التدخل، واحترام السيادة الوطنية للدول، والبرازيل التي تعتمد على قوتها الثقافية كذلك، فإن هناك اتجاهها يشير إلى أن المزج في استخدام كلتا القوتين: العسكرية والناعمة، يخلق مفهوماً جديداً هو القوة الذكية.

ولقد كان العنف في الماضي هو مصدر القوة، ثم أصبحت الثروة هي مصدر السيطرة على المجال الاقتصادي والسياسي، وأخيراً وصل العالم إلى مرحلة أصبحت المعلومة هي مصدر القوة ومجتمع المعلومات هو ذلك المجتمع الذي يحسن استغلالها في جميع المجالات وفي اتخاذ القرارات الرشيدة إذ أصبحت قوة الدولة تعتمد على قدرتها على الاختراع والابتكار وإنتاج التكنولوجيا العلمية، وعدد براءات الاختراع

الدولية، والتي بدورها ستدعم قوة الاقتصاد، مما دفع البعض لإضافة مصطلح أو نوع جديد من الحروب وهي حرب المعلومات؛ الأمر الذي يوضح مدى خطورة عامل قدرة المعلومات، ودورها البارز في النظام الدولي وجدير بالذكر ترابط عناصر القوة العسكرية والثروة والمعرفة ببعضها بعضاً، إذ يؤثر كل منها في الآخر فمن الممكن في ظل ظروف معينة أن يقود أحدهم إلى الآخر؛ فيمكن من خلال استخدام العنف الحصول على المال أو المعلومات، كما يمكن استخدام المعلومات للحصول على المال أو لاكتساب مزيد من القوة، كذلك يمكن استخدام المال لشراء المعلومات أو شراء أدوات وآليات استخدام القوة.

الفصل الخامس : الإتهام بالإرهاب

أن التعصب الغربي بمستشرقيه وترساتته الإعلامية الكاسحة قد قام باستبعاد كل معاني الجهاد، ولا يحتفظ منها إلا بمعنى القتال والعنف، بعد أن أضفى عليها الإرهاب ليكون ذريعة له لاقتلاع الإسلام والمسلمين وذلك ما نطالعه بتوسع منذ مطلع السبعينيات من القرن العشرين، وإن كان التمهيد له قد بدأ قبل ذلك بكثير؛ فنطالع في موسوعة الإسلام التي أصدرها المستشرقون في مطلع القرن العشرين في أربعة مجلدات ضخمة ضمنوها ما في وسعهم من تحريف وعدم أمانة، نطالع تحت كلمة جهاد في المجلد الأول ص: ١٠٧٢ ما كتبه المستشرق: د.ب. ماكدونالد، قائلاً: الجهاد يعني فرض الإسلام بالسلاح، إنه واجب ديني على المسلمين بصفة عامة وينتهي تلك المقالة الزاخرة بالتحريف والمغالطات بعبارة يقول فيها: يجب على الإسلام أن يتفتت تماماً لكي يمكن استبعاد عقيدة الجهاد كلية وفيما يتعلق بالإرهاب والإرهابيين، فهذه الكلمة بدأت في الغرب، وخاصة فرنسا، مأخوذة عن اللاتينية في حوالي ١٣٥٦م، وتم استخدامها بمعنى الإرهاب المرعب المهلك عام ١٦٢٥م، ومنذ ١٧٨٩م أصبحت هذه الكلمة تعني كافة وسائل القمع السياسي التي تمارسها الدولة للسيطرة على معارضيها وعصر الإرهاب، أو عصر الرعب هو مسمى الحكومة الفرنسية التي حكمت أيام الثورة الفرنسية

فيما بين يونيو ١٧٩٣م ويوليو ١٧٩٤م التي سالت فيها الدماء حتى
فاضت أنهاراً؛ إذ راح ضحيتها مليونان من الثوار فيما بين ١٧٨٩م
و ١٨١٥م، وما يساوي ٤٠% من إنتاج الذهب كله في القرن الثامن
عشر (١)، ومنذ ذلك الوقت تولدت مختلف اشتقاقات الكلمة وممارساتها؛
أي أن كلمة الإرهاب والإرهابيين مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسياسة الغربية
عامة، والفرنسية أما فيما يتعلق بالإرهاب، فما من أحد يجهل أن توسع
الغرب المسيحي المتعصب بدأ منذ القرن السادس عشر حتى القرن
العشرين ولا يزال، وهو توسع يمثل أحد أهم الأحداث في تاريخ
الإنسانية، وهذه الأحداث كلها تدين ذلك الغرب المستعمر، ووحشيته؛ إذ
إن هذا التوسع وهذا الإثراء الناجم عنه قد تم فعلاً على حساب إبادة
شعوب بأسرها، واستعباد شعوب أخرى مع نهب ثرواتها وإخضاعها
لأحكامه الاستبدادية الظالمة والغرب بهذا الاتهام يشغل الأمة عن
التصدى لارهابه بالدفاع عن نفسها ضد ما يتهمونها به وربما يتنازل
عن بعض حقوقه في مقابل أن يرفع اسمه من قائمة الارهاب الدولي
وهنا بيت القصيد اذ المقصود اشغالنا عن قضايانا الأساسية بقضايا
يخلقونها ثم يدفعوننا إليها دفعا فنغرق فيها إلى حد تصديق

١- عن مقال ثمن الثورة الفرنسية بقلم رنيه سديود- بتصرف

اتهاماتهم ولقد بات من الضروري توضيح الموقف من ظاهرة الإرهاب التي أصبح الحديث عنها في الظرف الراهن يحال مباشرة على العالم العربي والإسلامي الذي تنظر إليه قوى التطرف الامبريالي الصهيوني على أنه منبع للإرهاب الدولي وهي تتخذ ذلك ذريعة للتدخل في شؤونه وتشديد العدوان عليه ودعم الدكتاتوريات الفاسدة التي تحكم معظم شعوبه ولا بد من ملاحظة تعمد تلك القوى الخلط في تحديد أو تعريف ظاهرة الإرهاب بين النضال المشروع الذي تخوضه الشعوب العربية والإسلامية من أجل حريتها واستقلالها ونهضتها من جهة وبين أعمال العنف التي تمارسها اقلية معزولة لا تفرق بين الأهداف العسكرية والأهداف المدنية مختلفة شتى الذرائع لتبرير سلوكها من جهة أخرى فكل نضال تحرري في نظر تلك القوى إرهاب طالما أنه يستهدف مصالحها ومصالح أعوانها أما ما تمارسه هي من إرهاب الدولة على مستوى عالمي وفي مختلف المجالات (الولايات المتحدة) وما يمارسه حلفاؤها إقليميا (الكيان الصهيوني) من إرهاب مماثل أو ما تمارسه الدكتاتوريات العربية والإسلامية والمجموعات المسلحة المرتبطة بها من عنف ضد الشعوب والأقليات والقوى فهو مشروع ويندرج في نطاق الدفاع عن النفس.

كما أن القوى الامبريالية وعلى رأسها أمريكا تطمس مسؤوليتها عن تنامي ظاهرة الإرهاب على مستوى العالم عامة وفي العالم العربي والإسلامي خاصة، بحكم ما تمارسه من قهر اقتصادي واجتماعي وسياسي وثقافي وقومي، يشكل أرضية خصبة لظهور مجموعات تتخذ من الإرهاب، سواء كان يستهدف أفراداً أو مجموعات عرقية أو دينية أو ثقافية، وسيلة للنضال السياسي وبعبارة أخرى فإن المسؤولية الرئيسية لتنامي ظاهرة الإرهاب تعود إلى القوى الإمبريالية وعلى رأسها أمريكا ورببيتها الصهيونية وأنظمة الحكم الدكتاتورية العاملة في ركابها، سواء لكونها هي ذاتها تمارس إرهاب الدولة أو لكونها تخلق الأرضية الاجتماعية والسياسية المناسبة لنشأة الإرهاب أو تبعث مجموعات إرهابية تستخدمها لقمع الحركات الشعبية أو لزعة الأنظمة المتنطعة أو لمكافحة منافس دولي أو إقليمي ومن البديهي أن القوى الثورية العربية مدعوة إلى الاختلاف مع مفاهيم الإرهاب التي تروجها الامبريالية خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والتي تلففتها الرجعيات العربية لتلصق الإرهاب بكل شكل من أشكال الاحتجاج والمعارضة وحتى مجرد النقد عن طريق القول أو الكتابة فلا خلط بين النضال التحرري وبين الإرهاب ولا تردد في تفسير أسباب تنامي ظاهرة الإرهاب ذاتها، باعتبارها تمثل الوليد الشرعي للنظام الرأسمالي الامبريالي القائم على القهر والاضطهاد وتعميق الفوارق الاقتصادية

والاجتماعية وتدمير ثقافات الشعوب، ومنعها من تحقيق وجودها في كنف الحرية كما أن القوى الثورية العربية مدعوة إلى عدم الرضوخ للضغوط الأيديولوجية والسياسية والأمنية والعسكرية التي تمارسها تلك القوى مجتمعة لثني قوى التحرر عن النضال وحصر نشاطها في الحدود التي تقبلها والتي لا تشكل خطورة عليها وهذا الموقف يعني عمليا عدم التردد في مواصلة المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الامبريالي الأمريكي البريطاني في العراق وضد الاحتلال الصهيوني في فلسطين والجولان (سوريا) ومزارع شبعا (لبنان) وضد الوجود العسكري الأمريكي في السعودية وبلدان الخليج كما أنه يعني عدم التردد في تنظيم الانتفاضات الشعبية ضد الدكتاتوريات العربية العميلة والفاصلة كلما سمحت الظروف المناسبة بذلك فمقاومة الاحتلال والقهر والاستغلال حق أساسي من حقوق الشعوب لا يمكن أن يصدّها عنه أيّ مارد.

الفصل السادس: الحروب المباشرة والاحتلال

لم تترك قوى الامبريالية دولة من الدول التى حباها الحق كنوزاً الا وسعت فى تدمير قواها حتى ولو اضطرت فى سبيل ذلك الى تدمير الدولة وقتل اهلها فى سبيل نهب ثرواتها وضمان عدم مقاومتها لها فيما بعد يستوى فى ذلك الاستعمار والهيمنة القديمة مع الهيمنة الحديثة فقديما جميعنا يعلم ما عانها العالم العربى والاسلامى من الهيمنة الأوروبية والاستعمارية على مقدراته ونهب ثرواته وقتل شبابه وتعذيب أبناء وطنه حتى جاءه الفرج من عند الله ولم يكد يتحرر من الاستعمار القديم حتى قبع تحت التبعية والاحتلال الفكرى وجاءته الهيمنة الحديثة أحادية القطب التى زرعت لها رؤوس تابعة تكفيها مؤونة التكلفة وإزهاق أرواح بنيتها ودخلت الدول العربية اما مكرهة واما مختارة تحت عباءة الشبح الجديد الذى يمتص الدماء ويترك صحاياه جثة هامدة لا حراك بها فتجد أمريكا الآن وقد احتلت العراق وقبلها باكستان وافغانستان وتروى الشوكة القذرة التى زرعتها انجلترا فى قلب عربيتنا النابض فلسطين ذلك الكيان المسمى اسرائيل ولكل مرحلة من مراحل الهيمنة مبرراتها التى كانت قديما الحرص على مصالح الشرق وربما تمسح منفضوها فى الدين كما فعل نابليون حين اعلن انه ما جاء الا لحماية المسلمين من المماليك ثم الامبريالية الحديثة بمبرراتها الوقحة التى جاءت بها لتعلمنا الحرية والديمقراطية والتحرر من الديكتاتوريات التى زرعتها هى ومكنت لها ولكل غاز ما يبرر غزوه.